اللؤلؤ والمرجان

من حكم بديع الزمان

سعيد النورسي

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٣٠٠٣/ ٦/ ٢٠١٥)

٢١١

جرار، مأمون فريز

اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي/ مأمون فريز جرار ـ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع ٢٠١٥م.

(١٦٦) ص.

ر.إ.: (٣٠٠٣/ ٦/ ٢٠١٥).

الواصفات: / الثقافة الإسلامية/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر.

دار المأمون للنشر والتوزيع

الهدف - عمارة جوهرة القدس

تلفاكس: ٥٦٤٥٧٥٧

ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن

E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

من كتاب المكتوبات

اللؤلؤ والمرجان

من حكم بديع الزمان

سعيد النورسي

الدكتور

مأمون فريز جرار

دار المأمون للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

بدأت منذ سنوات صلتي برسائل النور التي ألفها العالم الرباني والداعية الملهم والإمام المجدد: بديع الزمان سعيد النورسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل مثوبته (١٨٧٧-١٩٦٠) سعيد النورسي وهبه الله تعالى عقلاً كبيراً، وذاكرة واعية عجيبة، وقدرة على الفهم والتحليل والتركيب تلفت النظر، وخيالاً محلقاً، إنه يسيح بك في آفاق الوجود، يكشف لك حجاب الغفلة عن آيات الله، يضع يدك على دلائل القدرة الربانية، ويلفت نظرك وحواسك إلى تجليات الأسماء الحسنى في كل ما تدركه، يصلك بمنابع النور، ويجعلك والحقيقة رأي عين، يغوص بك في أعماق الذرات، ويحلق بك في آفاق المجرات، في رحلة يقين تريك كل شيء من حولك مثلك عبداً لله مسبحاً ذاكراً فيمتلئ قلبك أنساً، وعقلك يقيناً، ونفسك رضى وطمأنينة، فلا تحس وحشة من شيء أو في شيء، كيف وأنت وإياهم ساجدون في محراب الكون؟ صافون في مسجد الوجود؟ ذاكرون في حلقة ذكر يسبح الله فيها كل المخلوقات؟

سعيد النورسي في رسائل النور يسعى إلى إحياء الإيمان في القلب، وحين يحيا الإيمان يدرك الإنسان معنى العبودية لله، فيرفض ما سواه، ويسعى إلى أن تكون حياته في الدنيا على المنهج الرباني، وعلى منهج الرسول الخاتم محمد عليه وآله الصلاة والسلام.

سعيد النورسي في رسائل النور ليس شيخاً صوفياً ولا صاحب طريقة بل هو داعية إلى الحقيقة القرآنية يرى أنك من خلال القرآن الكريم تستطيع الوصول إلى الحقيقة بخطوات أربع هي:

الخطوة الأولى: العجز أمام الله والإحساس بأنه لا حول لك ولا قوة إلا به، فتتخلص من فرعونية النفس وتورم الأنا.

والخطوة الثانية: الفقر إليه سبحانه، فهو الغني الذي بيده خزائن السمـاوات والأرض، وكل ما عند المخلوقات فهو منه، وعلى قدر إحساسك بالفقر أمامه سبحانه يكون غناك به. والخطوة الثالثة: الشفقة التي تملأ القلب حباً للناس والأشياء وحرصاً على كل خير. والخطوة الرابعة: التفكر الذي يكشف حجاب الألفة وستار الغفلة ويريك الآيات التي تملأ الوجود.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

لقد وقف بديع الزمان سعيد النورسي في وجه موجة الإلحاد التي ضربت تركيا بعد إلغاء الخلافة، ومع أنه قضى سنوات عمره منذ عام ١٩٢٣م حتى وفاته سنة ١٩٦٠م في نفي وإقامة جبرية ومحاكمات متتالية ومحاولات تسميم بلغت أكثر من خمس عشرة مرة فقد نجاه الله من كل سوء وسخره لخدمة دينه ولتكون رسائل النور الكوكب الساري في ليل الإلحاد، والفجر الصادق في تاريخ تركيا الحديثة وما نشهده في السنوات الأخيرة من تحولات ظاهرة في المجتمع التركي هو ثمرات تلك السنوات الطويلة من الجهاد المعنوي لإحياء الإيمان بنور القرآن وتفسيره تفسيراً حياً في رسائل النور.

ومنذ عرفت رسائل النور سعيت وما زلت إلى تعريف الناس بها ليقبسوا من نور الإيمان فيها، ولتتجلى لهم آثار الإعجاز القرآني في ما تجلى فيها من دلائل تحمل اليقين إلى العقول، والطمأنينة إلى القلوب.

لقد كتبت عنها وعن مؤلفها، وأذعت حلقات منها في أكثر من إذاعة، بل سجلتها صوتياً بفضل الله وتوفيقه. وها أنا في هذه السلسلة من المقالات أستخلص من رسائل النور درر الحكمة، ومرجان الأفكار، أقدمها إلى القراء في هذا الشهر العظيم شهر رمضان المبارك لتكون زاداً إيمانياً مباركاً، وأرجو أن أكون قد وفقت في اختياراتي التي لن تنتهي

مع نهاية هذا الشهر الكريم بل تمتد إلى ما بعده بإذن الله، لأننا نتجول في قريب من خمسة آلاف صفحة فيها من الثمرات اليانعة والأزهار الفواحة ما هو من ثمرات القرآن الكريم وآيات الله تعالى وتجليات أسمائه المبثوثة في هذا الوجود الفسيح، فعسى الله تعالى أن يعين على إتمام هذا العمل ليكون جسراً بين الناس ورسائل النور تقربها إليهم وتحببهم بها ليقبلوا عليها ويفيدوا منها، وقد سميت هذا العمل: «اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي» وعسى أن يكون العنوان مطابقاً للمضمون. وبالله التوفيق. رمضان ١٤٣٢هـ آب ٢٠١١م.

كان ما سبق المقال الافتتاحي لسلسلة اللؤلؤ والمرجان التي بدأتها في جريدة الدستور الأردنية، وقد جعلته مقدمة للجزء الأول.

وها أنا أضعه في بداية الجزء الثاني من اللؤلؤ والمرجان الخاص بما استخلصته من كتاب المكتوبات، أرجو أن تتبعه الأجزاء الأخرى التي تستكمل استخلاص حكم رسائل النور، وأرجو أن أكون قد وفقت في ما عملت، من وضع عنوان لكل فقرة مستخلصة، يكشف عن مضمونها ويقربها إلى القارئ، وما قمت به من اقتطاف النصوص

من سياقاتها. وما قمت به هو جهد بشري يعتريه النقص والخطأ، فأستغفر الله من ذلك، وأرجو ألا يبخل علي القراء بملحوظاتهم ليكون عملي في صورة أتم، والله الموفق والهادي، وله الفضل والمنة أولاً وآخراً.

شعبان ١٤٣٦هـ/ حزيران ٢٠١٥م

مأمون فريز جرار

* * *

المكتوب الأول

حياة الشهداء:

إن الشهداء الذين ضحوا بحياتهم الدنيوية في سبيل الحق، ينعم عليهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بكمال كرمه حياة شبيهة بالحياة الدنيوية في عالم البرزخ، إلّا أنها بلا آلام ولا متاعب ولا هموم؛ حيث لا يعلمون أنهم قد ماتوا، بل يعلمون أنهم قد ارتحلوا إلى عالم أفضل، لذا يستمتعون متعة تامة ويتنعمون بسعادة كاملة، إذ لا يشعرون بما في الموت من ألم الفراق من الأحبة.

حقيقة الموت:

الموت هو تبديل مكان وإطلاق روح وتسريح من الوظيفة، وليس إعداماً ولا عدماً ولا فناءً.

الموت مبدأ حياة:

إن موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديدة، أزهاراً وأثماراً.. بل هو بمثابة عين حياته الجديدة؛ فهذا الموت إذن مخلوق منتظم كالحياة.

الموت مخلوق:

إن ما يحدث في معدة الإنسان من موت لثمرات حية، أو غذاء حيواني، هو في حقيقته بداية ومنشأ لصعود ذلك الغذاء في أجزاء

الحياة الإنسانية الراقية. فذلك الموت إذن مخلوق أكثر انتظاماً من حياة تلك الأغذية.

الموت نعمة:

الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة. وهو باب وصال في الوقت نفسه مع تسعة وتسعين من الأحبة الأعزاء في عالم البرزخ، فهو إذن نعمة عظمى!.

الموت خروج من السجن:

إنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب، ودخول في رعايـة المحبوب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستنيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا همّ.

الموت راحة:

كما أن النوم راحة للإنسان ورحمة، ولا سيما للمبتلين والمرضى والجرحى، كذلك الموت ـ الذي هو أخو النوم ـ رحمة ونعمة عظمى للمبتلين ببلايا يائسة قد تدفعهم إلى الانتحار.

موت أهل الضلال:

أما أهل الضلال، فالموت لهم كالحياة نقمة عظمى وعذاب في عذاب.

الجنة وجهنم:

إن الجنة وجهنم ثمرتان من غصن شجرة الخلق، قد تدلتا إلى الأبد، وموضع الثمرة في منتهى الغصن. وإنهما نتيجتان لسلسلة الكائنات هذه، ومحل النتائج يكون في طرفي السلسلة، السفلية منها والثقيلة في الأسفل، والعلوية النورانية منها في الأعلى.

❊ ❊ ❊

المكتوب الثاني

خزينة وكنز:

إن التوكل والقناعة والاقتصاد خزينة عظيمة، وكنز ثمين لا يعوضان بشيء.

* * *

المكتوب الثالث

الخنس الكنس:

هذه السيارات التي عبّر عنها القرآن الكريم بـ«الخنّس» «الكنّس» يجريها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مع أرضنا هذه جريان سفينة تمخر عباب الكون، ويسيّرها طيران الطير في فضاء العالم، ويسيح بها سياحة طويلة، في انتظام كامل. دالاً بها على عظمة ربوبيته وأبّهة ألوهيته جل جلاله، كالشمس في وضح النهار.

من مظاهر القدرة الربانية:

نعم! إن تقدير القمر تقديراً دقيقاً جداً، وتدويره حول الأرض وتدبيره وتنويره، وإعطاءه أوضاعاً إزاء الأرض والشمس، محسوبة بحساب في منتهى الدقة والعناية، تتحير منه العقول، يرشد كل ذي شعور يشاهد هذه الدقة في التقدير أن يقول: إن القدير الذي ينظم هذه الأمور على هذه الشاكلة الخارقة ويقدّرها تقديراً دقيقاً، لا يصعب عليه شيء، مما يوحي: أن الذي يفعل هذا قادر على كل شيء.

سنة ربانية:

إن الصانع القدير، الفاطر الحكيم، الواحد الأحد، قد سنّ سنة، وأجرى عادة وهي أداء أعمال كثيرة جداً بشيء قليل جداً، وإنجاز

وظائف جليلة جداً بشيء يسير جداً، إظهاراً لكمال قدرته وجمال حكمته ودليلاً على وحدانيته جل جلاله.

الضلالة والوحدانية:

إن في طريق الضلال مشكلات لا نهاية لها، وفي طريق الوحدانية والهداية سهولة لا نهاية لها.

* * *

المكتوب الخامس

لو كانوا في عصرنا:

لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني والشاه النقشبند والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هـذا، لبذلوا كل ما في وسعهـم لتقوية الـحقائق الإيمـانية والعقائد الإسلامية، ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية، وإن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي.

طريق الجنة:

لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف. فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة. فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز.

دواء لأمراض عصرنا:

إن «الكلمات» التي كُتبت لبيان أسرار القرآن هي أنجع دواء لأمراض هذا العصر وأفضل مرهم يمرر على جروحه، وأنفع نور يبدد هجمات خيول الظلام الحالك على المجتمع الإسلامي، وأصدق مرشد ودليل لأولئك الحيارى الهائمين في وديان الضلالة.

علاج الضلالة:

إن الضلالة إن كانت ناجمة من الجهل فإزالتها يسير وسهل، ولكن إن كانت ناشئة من العلم فإزالتها عسير ومعضل.

❊ ❊ ❊

المكتوب السادس

توكل على الله:

بغير الله دنياك آلام وعذاب، وفناء وزوال، وهباء في بلاء، فتعال توكل عليه في بلواك!

تصغير البلاء:

تبسّم بالتوكل في وجه البلاء، ليبتسم البلاء. فكلما تبسّم صغُر وتضاءل حتى يزول.

* * *

المكتوب السابع

منبع الدين:

إن أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأحواله وأطواره وحركاته وسكناته، هي منبع الدين ومصدر الأحكام والشريعة.

* * *

المكتوب الثامن

أنوار الرحمن الرحيم:

إني أرى اسمي «ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» نوراً عظيماً إلى حد كبير، بحيث يحيط ذلك النور بالكون كله، وأرى فيهما من القوة والسطوع لكل روح، بحيث يحققان لها جميع حاجاتها الأبدية، وينجيانها من أعدائها التي لا تحد. فلقد وجدت أن أهم وسيلة للوصول إلى هذين النورين العظيمين تكمن في «الفقر مع الشكر» و«العجز مع الشفقة» أي بتعبير آخر: العبودية والافتقار.

الشفقة والعشق:

إن الشفقة واسعة، إذ الوالد الذي يشفق على أولاده يشفق أيضاً على جميع الصغار، بل حتى على ذوي الأرواح، فيبين نوعاً من أنوار اسم «ٱلرَّحِيمِ» المحيط بكل شيء. بينما العشق يحصر النظر بمحبوبه وحده، ويضحي بكل شيء في سبيله، أو يذم الآخرين ضمناً ويهوّن من شأنهم إعلاءً لقدر محبوبه وثناءً عليه.

* * *

المكتوب التاسع

الكرامة والإكرام:

إن إظهار الكرامة فيه ضرر إن لم يكن هناك ضرورة، بينما إظهار الإكرام تحدث بالنعمة.

أسعد إنسان:

أرى أن أسعد إنسان في هذه الحياة الدنيا هو ذلك الذي يتلقى الدنيا مضيف جندية ويذعن أنها هكذا، ويعمل وفق ذلك. فهو بهذا التلقي يتمكن أن ينال أعظم مرتبة ويحظى بها بسرعة، تلك هي مرتبة رضى الله سبحانه، إذ لا يمنح قيمة الألماس الثمينة الباقية لقطع زجاجية تافهة، بل يجعل حياته تمضي بهناء واستقامة.

بين الزجاج والألماس:

إن الأمور التي تعود إلى الدنيا هي بمثابة قطع زجاجية قابلة للكسر بينما الأمور الباقية التي تخص الآخرة هي بقيمة الألماس المتين الثمين.

الأجهزة المعنوية في الإنسان:

إن الأجهزة المعنوية الممنوحة للإنسان إذا ما استعملها في سبيل النفس والدنيا، غافلاً وكأنه مخلد فيها؛ تصبح تلك الأجهزة المعنوية منابع أخلاق دنيئة ومصادر إسرافات في الأمور ومنشأ عبثية لا طائل وراءها.

ولكن إذا ما وجه أحاسيسه تلك، الخفيفة منها إلى الدنيا والشديدة منها إلى العقبى وأعمال الآخرة والأفعال المعنوية، فإنها تكون منشأ للأخلاق الفاضلة وسبيلاً ممهداً إلى سعادة الدارين ومنسجمة انسجاماً تاماً مع الحكمة والحقيقة.

من أسباب عدم تأثير النصيحة:

إني أخال أن سبباً من أسباب عدم تأثير نصيحة الناصحين في هذا الزمان هو: أنهم يقولون لسيئي الخلق: لا تحسدوا، لا تحرصوا، لا تعادوا، لا تعاندوا، لا تحبوا الدنيا. بمعنى أنهم يقولون لهم غيّروا فطرتكم، وهو تكليف لا يطيقونه في الظاهر. ولكن لو يقولون لهم: اصرفوا وجوه هذه الصفات إلى أمور الخير، غيّروا مجراها، فعندئذ تجدي النصيحة وتؤثر في النفوس، وتكون ضمن نطاق إرادة الإنسان واختياره.

الإسلام والإيمان:

إن الإسلام التزام، والإيمان إذعان. أو بتعبير آخر: الإسلام هو الولاء للحق والتسليم والانقياد له. أما الإيمان فهو قبول الحق وتصديقه.

سبب النجاة:

كما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سبب النجاة، كذلك الإيمان بلا إسلام لا يكون سبب النجاة.

المكتوب العاشر

الإمام المبين:

الإمام المبين: عنوانٌ لنوعٍ من العلم الإلهي وأمره، بحيث يتوجّه إلى عالم الغيب أكثر مما يتوجه إلى عالم الشهادة. أي: أنه يتوجه إلى الماضي والمستقبل أكثر من توجهه إلى الحال والزمن الحاضر. وبعبارة أخرى: أنه سجلٌ للقدر الإلهي ينظر إلى أصل كل شيء وإلى نسله، إلى عروقه وإلى بذوره، أكثر مما ينظر إلى وجوده الظاهري (...) هو في حكم فهرس وبرنامج شجرة الخلق، الممتدة عروقها وأغصانها وفروعها حول الماضي والمستقبل وعالم الغيب. فـ«الإمام المبين» بهذا المعنى سجل للقدر الإلهي، وكراس دساتيره، والذرات تُساق إلى حركاتها ووظائفها في الأشياء بإملاء من تلك الدساتير وبحكمها.

الكتاب المبين:

أما الكتاب المبين فهو يتوجه إلى عالم الشهادة أكثر من توجهه إلى عالم الغيب، أي: ينظر إلى الزمان الحاضر أكثر مما ينظر إلى الماضي والمستقبل. فهو: عنوانٌ للقدرة الإلهية وإرادتها، وسجل لهما وكتاب، أكثر مما هو عنوان للعلم الإلهي وأمره.

بين الإمام المبين والكتاب المبين:

إذا كان «الإمام المبين» سجلاً للقَدَر الإلهي فـ«الكتاب المبين» سجل للقُدرة الإلهية.

لوح المحو والإثبات:

أما لوح المحو والإثبات فهو سجل متبدل للّوح المحفوظ الأعظم الثابت الدائم، ولوحة «كتابة ومحو» له في دائرة الممكنات أي الأشياء المعرضة دوماً إلى الموت والحياة، إلى الفناء والوجود. بحيث إن حقيقة الزمان هو هذا.

حقيقة الزمان:

كما أن لكل شيء حقيقة، فحقيقة ما نسميه بالزمان الذي يجري جريان النهر العظيم في الكون هي في حكم صحيفة ومداد لكتابات القدرة الإلهية في لوح المحو والإثبات.

ميدان الحشر:

إن الكرة الأرضية لا تخط أثناء سيرها السنوي دائرة عظيمة عبثاً وعلى غير هدى، بل إنها تدور حول شيء عظيم، وتخط دائرة محيطة لـميدان عظيم، وتعيّن حدوده، وتجول حول مشهر عظيم، وتسلّم محاصيلها المعنوية إليه، لتعرض تلك المعروضات أمام أنظار الناس

في ذلك المحشر. بمعنى أن ميدان حشر عظيم سيُبسط من منطقة الشام ـ كما في رواية ـ التي ستكون في حكم نواة تملأ دائرة عظيمة محيطها يبلغ ما يقرب مسافة خمس وعشرين ألف سنة. وتُرسل الآن محاصيل الأرض المعنوية إلى دفاتر وألواح ذلك الميدان المعنوي، المحجوب عنا تحت ستار الغيب، وحينما يُفتح الميدان في المستقبل، ستُفرغ الأرض أيضاً بأهليها إلى الميدان نفسه وتمضي محاصيلها المعنوية تلك من الغيب إلى الشهادة.

الكرة الأرضية وميدان الحشر:

إن الكرة الأرضية نواة، وإن ميدان الحشر مع ما فيه، شجرة وسنبل ومخزن.

* * *

المكتوب الحادي عشر

حقيقة الوساوس:

إن تداعي الخيالات، وتخطر الفرضيات نوع من ارتسامٍ غير اختياري، والارتسام إن كان آتياً من الخير والنورانيات، يسري حكم حقيقته إلى صورته ومثاله، إلى حدٍ ما، مثلما ينتقل ضوء الشمس وحرارتها إلى صورتها في المرآة. وإن كان الارتسام صادراً من الشر ومن الكثيف فلا يسري حكم الأصل وخاصيته إلى صورته، ولا إلى مثاله، كصورة النجس والقذارة في المرآة ليست نجسة ولا قذرة. وصورة الحية في المرآة لا تلدغ.

أكرم حقائق الوجود:

إن شفقة الوالدة وحنانها الذي هو ألطف جلوة من رحمته تعالى بل ألذها وأجدرها بالاحترام، أسمى وأكرم حقيقة من حقائق الوجود.

* * *

المكتوب الثاني عشر

خلق الشر وكسب الشر:

إن خلق الشر ليس شراً، بل كسب الشر شر، لأن الخلق والإيجاد يتطلع إلى جميع النتائج ويتعلق بها، بينما الكسب يتعلق بنتائج خصوصية، لأنه مباشرةٌ خاصة.

شر قليل وخير كثير:

إن شراً قليلاً يُقبل به للحصول على خير كثير، إذ لو ترك شرٌ ينتج خيراً كثيراً للحيلولة دون حصول ذلك الشر القليل، لحصل عندئذٍ شر كثير.

انفتاح ميدان الامتحان:

بخلق الشياطين؛ وبسر التكليف، وبإرسال الأنبياء، انفتح ميدان الامتحان والتجربة والجهاد والمسابقة، وبه تتميز الأرواح السافلة التي هي كالفحم في خساسته عن الأرواح العالية التي هي كالألماس في نفاسته. فلولا المجاهدة والمسابقة لبقيت الاستعدادات كامنة في جوهر الإنسانية، أي لتساوى الفحم والألماس، أي لتساوت الروح السامية لسيدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي في أعلى عليين مع روح أبي جهل التي هي في أسفل سافلين!

ربح وخسارة!

غنم النوع البشري مائة ألف من الأنبياء عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ وملايين الأولياء وملايين الملايين من الأصفياء الذين هم شموس عالم الإنسانية وأقمارها ونجومها، ببعثة الأنبياء وبسر التكليف وبمحاربة الشياطين، إزاء ما خسره من المنافقين ـ الكثيرين كمّاً والتافهين نوعاً ـ والكفار الذين هم ضرب من الحيوانات المضرة.

* * *

المكتوب الثالث عشر

البشرية والمستنقع الآسن:

إن الحياة البشرية ما هي إلّا كركب وقافلة تمضي، ولقد رأيت بنور القرآن الكريم في هذا الزمان، أن طريق تلك القافلة الماضية أدت بهم إلى مستنقع آسن، فالبشرية تتعثر في سيرها فهي لا تكاد تقوم حتى تقع في أوحال ملوثة متنة ولكن قسماً منها يمضي في طريق آمنة. وقسم آخر قد وجد بعض الوسائل لتنجيه ـ قدر المستطاع ـ من الوحل والمستنقع. وقسم آخر وهم الأغلبية يمضون وسط ظلام دامس في ذلك المستنقع الموحل المتسخ.

* * *

المكتوب الخامس عشر

منزلة الصحابة:

إن صغار الصحابة هم أعظم بكثير من أعاظم الأولياء.

ولاية الصحابة:

ولاية الصحابة الكرام هي «الولاية الكبرى» ومنبعها وأصولها الأولى من وراثة النبوة، وطريقها: النفوذ من الظاهر إلى الحقيقة مباشرة، من دون المرور بطريق البرزخ. فهي ولاية متوجهة إلى انكشاف «الأقربية الإلهية» حيث إن طريق هذه الولاية رغم قصرها الشديد سامية وعالية جداً، خوارقها قليلة وكشوفاتها وكراماتها نادراً ما تظهر، إلا أن مزاياها وفضائلها عالية جداً.

الروح والزمان:

إن الروح ليست مقيدة بالزمان، فحينما تسمو الأحاسيس الإنسانية إلى درجة رهافة الروح يتوسع ذلك الزمان الحاضر ـ ويطوى فيه الماضي والمستقبل ـ فتكون الأوقات الماضية والمستقبلة بالنسبة للآخرين بمثابة الحاضر بالنسبة إليه.

هيمنة القدر الإلهي:

إنه مهما كان الإنسان فاعلا ذا اختيار إلا أن المشيئة الإلهية هي الأصل، والقدر الإلهي حاكم مهيمن والمشيئة الإلهية ترد المشيئة الإنسانية، بمضمون قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وإذا جاء القدر عمي البصر، فينفذ حكمه، وإذا ما تكلم القدر تسكت القدرة البشرية، ويصمت الاختيار الجزئي.

العدالة المحضة والعدالة الإضافية:

إن «معركة الجمل» التي دارت رحاها بين سيدنا علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وجماعته من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين من جهة أخرى، هي معركة بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية (النسبية).

الحسن والحسين بين السلطنة المعنوية والسلطنة الدنيوية:

إن الحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وذويهما ونسلهما كانوا مرشحين لسلطنة معنوية ومؤهلين لتسنم مرتبة سامية معنوية. ولما كان الجمع بين سلطنة الدنيا وتلك السلطنة المعنوية من الصعوبة بمكان، لذا جعلهم القدر الإلهي يُعرضون عن الدنيا، وأظهر لهم وجه الدنيا الدميم، لئلا تبقى لهم علاقة قلبية مع الدنيا، ودفعهم إلى أن ينفضوا أيديهم من سلطنة

صورية دنيوية مؤقتة زائلة، بينما عيّنهم لتسنم الأمور لدى سلطنة معنوية سامية دائمة، فأصبحوا مرجِعاً لأقطاب الأولياء بدلاً من أن يكونوا مرجعاً للولاة الاعتياديين.

ألم العذاب ومرتبة الشهادة:

إن الذي يستشهد نتيجة تعذيب يستغرق ساعة يغنم من المراتب العالية والدرجات السامية للشهادة ما لا يمكن أن يحصل عليها من يسعى بجهد متواصل خلال عشر سنين. فلو سئل ذلك الشهيد بعد فوزه بدرجة الشهادة عن ذلك التعذيب لأجاب: لقد فزت كثيراً جداً بشيء يسير جداً.

قدرة لا حدود لها:

إن قدرة الله جل وعلا لا حدود لها، حتى إن الوجود والعدم بالنسبة إلى قدرته وإرادته تعالى كمنزلَين، يرسل إليهما الأشياء ويجلبها منهما بكل يسر وسهولة، فإن شاء يجلبها في يوم واحد أو في آن واحد.

❊ ❊ ❊

المكتوب السادس عشر

السعي لأجل الإيمان:

حيث إن الإيمان وسيلة الفوز بالحياة الأبدية ومفتاح السعادة الخالدة، فينبغي إذاً السعي لأجله.

عدم الإيمان ألم وعذاب:

عدم الإيمان لا يشبهه أمر، فلربما توجد لذة شيطانية منحوسة في ارتكاب الظلم والفسق والكبائر إلّا أن عدم الإيمان لا لذة فيه إطلاقاً، بل هو ألم في الم، وعذاب في عذاب، وظلمات بعضها فوق بعض.

أسعد إنسان:

إن أسعد إنسان هو مَن: لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا.. ولا يضحي بآخرته للدنيا.. ولا يفسد حياته الأبدية لأجل حياة دنيوية.. ولا يهدر عمره بما لا يعنيه.. ينقاد للأوامر انقياد الضيف للمضيّف. ليفتح باب القبر بأمان.. ويدخل دار السعادة بسلام.

لا غالب إلا الله:

قوةُ العضد لا ترد تقدير الله، وشمعة أوقدها المولى لا تطفئها الأفواه.

قوة خادم القرآن:

إن كان لأهل الدنيا حكم وسطوة وقوة.. ففي خادمه بفيض القرآن: علم لا يلتبس، وكلام لا يسكت، وقلب لا ينخدع، ونور لا ينطفئ.

حقيقة الدنيا:

لقد تيقنت أن هذه الدنيا دار ضيافة، تتبدل بسرعة وتتغير على الدوام، فهي ليست دار قرار ولا موطناً حقيقياً، لذا فإن نواحيها كافة على حد سواء.

طلب الحق من غير أهله:

إن طلب الحق من مدّعي الحق زوراً ومراجعتهم ظلمٌ وبخس للحق وقلة توقير له.

عاقبة المحبة غير المشروعة:

إن نتيجة محبة غير مشروعة عداوة ظالمة.

* * *

المكتوب السابع عشر

المنافع العاجلة والأجلة:

مَن غابت عنه منفعة عاجلة مشكوك فيها، وربح ألف منفعة آجلة محققة الحصول، لن يظهر الأحزان الأليمة، ولن ينوح يائساً أبداً!

أسرع وسيلة إلى الحق:

إن الشفقة التي هي ألطف تجليات الرحمة الإلهية وأجملها وأطيبها وأحلاها.. لهي أكسير نوراني، وهي أنفذ من العشق بكثير، وهي أسرع وسيلة للوصول إلى الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الارتباط بالدنيا:

ما دامت الدنيا فانية زائلة فلا تستحق إذن ربط القلب بها.

* * *

المكتوب الثامن عشر

ميزان الأحوال الروحية:

ميزان جميع الأحوال الروحية والكشفيات والأذواق والمشاهدات إنما هو: دساتير الكتاب والسنة السامية، وقوانين الأصفياء والمحققين الحدسية.

مرايا سلطنة الألوهية:

إن سلطنة الألوهية تقتضي وجود أسماء حسنى حقيقية متعددة لها، أمثال: ٱلرَّحْمَٰنِ، ٱلرَّزَّاقُ، ٱلْوَهَّابُ، ٱلْخَلَّقُ، الفعال، ٱلْكَرِيمِ، ٱلرَّحِيمِ، وهذه الأسماء والصفات تقتضي كذلك وجود مرايا حقيقية لها.

تجليات الأسماء الحسنى:

إن الصحابة والمجتهدين والأصفياء وأئمة أهل البيت عندما يشيرون إلى أن «حقائق الأشياء ثابتة» يقرون بأن لأسماء الله تعالى تجليات حقيقية، وأن لجميع الأشياء وجوداً عرضياً أسبغه الله عليها بالخلق والإيجاد، ومع أن هذا الوجود يعتبر وجوداً عرضياً وضعيفاً وظلاً غير دائم بالنسبة لوجود «واجب الوجود» إلا أنه ليس وهماً وليس خيالاً، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أسبغ على الأشياء صفة الوجود بتجلي اسمه «الخلاق» وهو يديم هذا الوجود.

صراط الولاية الكبرى:

الصراط المستقيم، بل صراط الولاية الكبرى، إن هو إلا طريق الصحابة والأصفياء والتابعين وأئمة أهل البيت والأئمة المجتهدين وهو الطريق الذي سلكه التلاميذ الأول للقرآن الكريم.

الأكل وظيفة فطرية:

إن الأكل وظيفة فطرية يشتاق الإنسان إلى القيام بها بدافع من لذة ناشئة من الشهية، ومن بعدها فهناك إنماء الجسم وإدامة الحياة كنتيجة للأكل وثمرة له.

تجليات لا تحد للأسماء الحسنى:

إن أسماء الله الحسنى لها تجليات لا تحد ولا تحصر، فتنوع المخلوقات إلى أنواع لا تحصر ناشئ من تنوع تلك التجليات غير المحصورة.

* * *

المكتوب التاسع عشر

حكم في الخلق:

لا ريب أن مالك هذا الكون وربّه يخلق ما يخلق عن علمٍ ويتصرف في شؤونه عن حكمة، ويدير كل جهة عن رؤية ومشاهدة، ويربي كل شيء عن علم وبصيرة، ويدبّر الأمر قاصداً إظهار الحِكَمَ والغايات والمصالح التي تتراءى من كل شيء.

دلائل صدق سيدنا محمد ﷺ:

إن دلائل صدق الرسول ﷺ وبراهين نبوته لا تنحصر في معجزاته، بل يرى المدققون أن جميع حركاته وأفعاله وأحواله وأقواله وأخلاقه وأطواره وسيرته وصورته، كل ذلك يثبت إخلاصَه وصدقَه

ثبوت النبوة:

لما كانت النبوة محققة وثابتة في الجنس البشري، وأن مئات الألوف من البشر جاءوا فأعلنوا النبوة، وقدّموا المعجزات برهاناً وتأييداً لها، فلا شك أن نبوة محمد ﷺ تكون أثبت وآكد من الجميع، لأن مدار نبوة الأنبياء وكيفية معاملاتهم مع أممهم والدلائل والمزايا والأوضاع التي دلت على نبوة عامة الرسل أمثال موسى وعيسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ توجد بأتم صورها وأفضل معانيها لدى الرسول الكريم ﷺ. وحيث إن

علة حكم النبوة وسببها أكمل وجوداً في ذاته ﷺ، فإن حكم النبوة لا محالة ثابت له بقطعية أوضح من سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

تنوع المعجزات النبوية:

إن معجزات الرسول ﷺ كثيرة جداً ومتنوعة جداً، وذلك لأن رسالته عامة وشاملة لجميع الكائنات؛ لذا فله في أغلب أنواع الكائنات معجزات تشهد له.

أحوال النبي ﷺ دليل نبوته:

إن جميع أحوال الرسول الكريم ﷺ وأطواره يمكن أن تكون دليلاً على صدقه وشاهداً على نبوته، إلّا أن هذا لا يعني أن تكون جميع أحواله وأفعاله خارقة للعادة؛ ذلك لأن الله سبحانه قد أرسله بشراً رسولاً، ليكون بأعماله وحركاته كلها إماماً ومرشداً للبشر كافة، وفي أحوالهم كافة، ليحقق لهم بها سعادة الدنيا والآخرة وليبيّن لهم خوارق الصنعة الربانية وتصرف القدرة الإلهية في الأمور المعتادة، تلك الأمور التي هي بحد ذاتها معجزات.

بشر رسول:

إن الرسول الكريم ﷺ بشر، فهو يتعامل مع الناس انطلاقاً من بشريته هذه. وهو كذلك رسول، وبمقتضى الرسالة هو ناطق

أمين باسم الله تعالى ومبلّغ صادق لأوامره سبحانه، فرسالته تستند إلى حقيقة الوحي.

فائدة السند في الحديث:

إن ذكر هذا السند الطويل يبين نوعاً من الإجماع فيمن هم في السند من الموثوقين الصادقين من الرواة الذين يعتّد بهم، فيظهر لنا نوعاً من الاتصال والاتفاق لأهل العلم المحققين في ذلك السند، فكأنما كلّ إمامٍ وعلّامة في السند يوقّع على حكم ذلك الحديث الشريف ويختم على صحته بختمه.

النبي ﷺ والغيب:

لم يكن الرسول الأعظم ﷺ يعلم الغيب ما لم يُعلّمه الله سبحانه، إذ لا يعلم الغيب إلّا الله فهو ﷺ يبلغ الناس ما علّمه الله إياه. وحيث إن الله حكيم ورحيم، فحكمته ورحمته تقتضيان ستر أغلب الأمور الغيبية وإبقاءها في طي الخفاء والإبهام، لأن ما لا يسرّ الإنسان من حوادث في هذه الدنيا هو أكثر مما يسره، فمعرفته تلك الحوادث قبل وقوعها أليم جداً.

السيرة والشخصية المعنوية:

إن أحوال الرسول ﷺ وأوصافه قد بُيّنت على شكل سيرة وتاريخ، إلا أن أغلب تلك الأحـوال والأوصاف تعكس بشريتـه

فحسب، إذ إن الشخصية المعنوية لتلك الذات النبوية المباركة رفيعة جداً وماهيته المقدسة نورانية إلى حدّ لا يرقى ما ذُكر في التاريخ والسيرة من أوصاف وأحوال إلى ذلك المقام السامي والدرجة الرفيعة العالية، لأنه ﷺ في ضوء قاعدة «السبب كالفاعل» تضاف يومياً ـ حتى الآن ـ إلى صحيفة كمالاته عبادةٌ عظيمة بقدر عبادات أمته بأكملها. وكما ينال باستعداد غير متناه نفحات الرحمة الإلهية غير المتناهية بشكل غير متناهٍ وبقدرة غير متناهية، كذلك ينال يومياً دعاءً غير محدود ممن لا يحد من أمته.

الصحابة الحفظة للحديث:

إن الإنسان إذا احتاج إلى الدواء يراجع الطبيب، وإذا احتاج إلى بناء يراجع المهندس وإذا احتاج إلى تعلم الشريعة يأتي المفتي ويستفتيه.. وهكذا فقد كانت مهمة بعض علماء الصحابة منحصرة في حمل الحديث ونشره ونقله إلى العصور الأخرى، فكانوا يسعون بكل ما آتاهم الله من قوة في هذه الغاية.

اليد النبوية المباركة:

إن تسبيح الحصى وخشوعه في كفه ﷺ..

وتحول التراب والحصيات فيها كقذائف في وجوه الأعداء حتى ولّوا مدبرين بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

وانفلاق القمر فلقتين بأصبع من الكف نفسها كما هو نص القرآن الكريم: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وفوران الماء كعينٍ جارية من بين الأصابع العشرة وارتواء الجيش منه...

وكون تلك اليد بلسماً للجرحى وشفاء للمرضى..

ليبيّن بجلاء:

مدى بركة تلك اليد الشريفة..

ومدى كونها معجزة قدرة إلهية عظيمة.

لكأن كف تلك اليد:

زاوية ذكر سبحانية صغيرة بين الأحباب،

لو دخلها الحصى لسبّح وذكر..

وترسانة ربانية صغيرة تجاه الأعداء،

لو دخلها التراب لتطاير تطاير القنابل..

وتعود صيدلية رحمانية صغيرة للمرضى والجرحى،

لو لامست داء لغدت له شفاء..

وحينما تنهض تلك اليد تنهض بجلال فتشق القمر شقين بأصبع منها.

وإذا التفتت التفاتة جمال فجّرت ينبوع رحمة يَدفُق من عشر عيون تجري كالكوثر السلسبيل.

فلئن كانت يد هذا النبي الكريم ﷺ موضع معجزات باهرة إلى هذا الحد.. ألا يدرك بداهةً:

مدى حظوته عند ربه،

مبلغ صدقه في دعوته،

ومدى سعادة أولئك الذين بايعوا تلك اليد المباركة؟.

العصمة من الناس معجزة:

إن عصمة الله تعالى للرسول الكريم ﷺ وحفظه له من أذى الناس معجزة باهرة وحقيقة جلية نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] ففي هذه الآية الكريمة معجزات كثيرة؛ إذ لما أعلن الرسول الكريم ﷺ نبوته فإنه

لم يتحدَّ طائفة واحدة ولا قوماً ولا ساسة ولا حكاماً معينين ولا مجتمعه بل تحدى جميع السلاطين وجميع أهل الأديان، تحداهم جميعاً ولا عاصم له إلا الله، وحتى عمه قد ناصبه العداء وقومه وقبيلته كانوا أعداء له، ومع هذا ظل ثلاثاً وعشرين سنة من غير حارس يحرسه، رغم تعرّضه لمخاطر ومهالك كثيرة، ولقد عصمه الله من الناس وحفظه حتى انتقل إلى الملأ الأعلى باطمئنان كامل؛ مما يدلنا دلالة الشمس في وضح النهار مدى رصانة الحقيقة التي تنطوي عليها الآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ ومدى كونها نقطة استناد له ﷺ.

مبشرات بآخر الأنبياء:

إن الذي سيكون سيد العالم معنىً، والذي سيبدل ملامح العالم المعنوية، والذي سيحول الدنيا مزرعة للآخرة، والذي سيعلن عن علو منزلة المخلوقات ونفاستها، والذي سيهدي الجن والإنس إلى الرشد وطريق السعادة، وينقذهم ـ وهم الفانون ـ من العدم المطلق، والذي سيحلّ حكمة الخلق واللغز المحيّر للعالم، والذي سيعلم ويعلّم مقاصد رب العالمين، والذي سيعرف ويعرّف ذلك الخالق العظيم... إن إنساناً كهذا لا بد أن يكون كل شيء، وكل نوع، وكل طائفة من المخلوقات،

مشتاقاً إلى مجيئه وسيرقبه بلهفة، ويستعد احتفاءً بمقدمه العظيم، بل سيبشر الآخرين بقدومه.

صاحب الخلق العظيم:

إن أعظم معجزة للرسول الكريم ﷺ بعد القرآن الكريم هو ذاته المباركة، أي ما اجتمع فيه ﷺ من الأخلاق السامية والخصال الفاضلة، وقد اتفق الأعداء والأولياء على أنه أعلى الناس قدراً وأعظمهم محلاً وأكملهم محاسن وفضلاً. حتى إن بطل الشجاعة الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إنا كنا إذا حمي البأس ـ ويروى اشتد البأس ـ واحمرّت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ»... وهكذا كان ﷺ في ذروة ما لا يرقى إليها أحد غيره من كل خصلة حميدة كما هو في الشجاعة.

تنوع أساليب الإعجاز:

إن للقرآن الكريم إعجازاً لكل طبقة من طبقات الناس، إلّا أنه يُشعر إعجازه هذا بأسلوب معين وبنمط خاص.

الإعجاز للطبقات كلها:

إن القرآن الكريم لا يدع أحداً محروماً من تذوق إعجازه، فلكل طبقة من أربعين طبقة من الطبقات المتباينة للناس لهم حظهم من هذا الإعجاز أو يشعرهم القرآن بإعجازه.

لا تدنو الشبهات من القرآن:

إن الجهات الست للقرآن الكريم منوّرة وضّاءة لا تدنو منها الشبهات والأوهام، لأن:

من ورائه العرش الأعظم، يستند إليه، فهناك نور الوحي.

وبين يديه سعادة الدارين، يستهدفها، فقد امتدت ارتباطاته وعلاقته بالأبد والآخرة فهناك نور الجنة ونور السعادة.

ومن فوقه تتلألأ آية الإعجاز وتسطع طغراؤه.

ومن تحته أعمدة البراهين الرصينة والدلائل الدامغة، ففيها الهداية المحضة.

وعن يمينه يقف استنطاق العقول وتصديقها، لكثرة ما فيه «أفلا يعقلون».

وعن يساره استشهاد الوجدان حتى ينطق من إعجابه: «تبارك الله» بما ينفخ من نفحات روحية للقلب.

فمن أين يمكن يا ترى أن تتسلل إليها الأوهام والشبهات.

أصول شجرة القرآن:

القرآن الكريم جامع لسّر إجماع كتب الأنبياء والأولياء والموحدين قاطبة، رغم اختلاف عصورهم ومشاربهم ومسالكهم. أي أن جميع

أرباب العقول السليمة والقلوب المطمئنة يصدّقون مجمل أحكام القرآن الكريم وأساس ما يدعو إليه، حيث يذكرونه في كتبهم. فهم إذن بمثابة أصول شجرة القرآن السماوية.

من ثمار القرآن:

إن الثمار التي يجنيها الإنسان من القرآن الكريم إنما هي ثمار يانعة ذات حياة وحيوية. فلا غرو أن جذور شجرة القرآن متوغلة في الحقائق ممتدة في الحياة، وأن حياة الثمرة تدل على حياة الشجرة، فإن شئت فانظر كم أعطى القرآن من ثمار الأصفياء المنورين والأولياء الصالحين الكاملين على طول العصور.

تصديق الفطرة:

إن القرآن الكريم مصدَّق من قبل الفطرة السليمة ـ ما لم يعترها عارض أو مرض ـ حيث إن اطمئنان الوجدان وراحة القلب إنما ينشآن من أنواره، أي أن الفطرة السليمة تصدّقه باطمئنان الوجدان. نعم! إن الفطرة بلسان حالها تقول للقرآن الكريم: «لا يتحقق كمالُنا من دونك».

منزلة إرشاد القرآن:

إن منزلة إرشاد القرآن الكريم لها من السعة والشمول بحيث إن درساً واحداً منه يتلقاه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جنباً إلى جنب صبي

صغير، ويجثو أمامه فلاسفة دهاة ـ أمثال ابن سينا ـ مع أبسط شخص أمي، يتلقيان الدرس نفسه، بل قد يستفيض ذلك الرجل العامي من القرآن بما يحمل من قوة الإيمان وصفائه ما لا يستفيضه ابن سينا.

القرآن منظار الوجود:

إن في القرآن الكريم عيناً باصرة نافذة بحيث ترى جميع الوجود وتحيط به، وتضع جميع الموجودات أمامه، كأنها صحائف كتاب فيوضح طبقاتها وعوالمها.

دليل على الخالق:

إن الرسول الكريم ﷺ دليل بذاته على وجود الخالق العظيم وعلى وحدانيته كما يدل عليه أي موجود من موجودات الكون.

ألوف المعجزات لسيد المرسلين:

إن ذلك الدليل الصادق المصدَّق الذي يملك ألوفاً من المعجزات ـ أكثر مما لدى الأنبياء السابقين ـ والذي أتى بشريعة سمحة غراء لا تنسخ ولا تُبدل، وبدعوة شاملة للجن والإنس، لا شك أنه سيد المرسلين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ فهو إذن جامع للحِكَـم والأسرار التي تنطـوي عليها

معجـزات الأنبياء عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ واتفاقهم. أي أن قوة إجـماع الأنبياء كلهـم إذن، وشهادة معجزاتهـم، تشكل ركيـزة لصدقه وصواب دعوته.

مصدر العلم النبوي:

إن ذلك المبلغ الأمين لكلام الله الأزلي يرى الأرواح، ويتكلم مع الملائكة، ويرشد الجن والإنس معاً، فلا يتلقى العلم من عوالم الملائكة والأرواح التي هي أسمى من عالم الإنس والجن بل يتلقى العلـم من فوق تلك العوالـم كلها، بل يطّلـع على ما وراءهـا من شؤون إلهية.

أكمل الموجودات:

إن ذلك الدليل الذي هو سيد الـمَلَك والجن والإنس إنما هو أنور ثمار شجرة الكائنات وأكملها، وتمثال الرحمة الإلهية، ومثال المحبة الربانية، والبرهان النير للحق، والسراج الساطع للحقيقة، ومفتاح طلسم الكائنات، وكشاف لغز الخلق، وشارح حكمة العالم، والداعي إلى سلطان الألوهية. والمرشد البارع لمحاسن الصنعة الربانية، فتلك الذات المباركة، بما تملك من صفات جامعة إنما تمثل أكمل نموذج لكمالات الموجودات.

علة الكون الغائية:

إن ذلك النبي الكريم ﷺ هو علة الكون الغائية، أي أنه موضع نظر خالق الكون. نظر إليه وخلق الكون، ويصح القول إنه لو لم يكن قد أوجده ما كان يوجد الكون. نعم؛ إن ما أتى به هذا النبي الكريم من حقائق القرآن وأنوار الإيمان إلى الإنس والجن كافة، وما يشاهَد في ذاته المباركة من أخلاق سامية وكمالات فائقة، شاهد صادق قاطع على هذه الحقيقة.

مقصد المعجزة:

إن المعجزة تأتي لإثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين، وليس إرغامهم على الإيمان. لذا يلزم إظهارها للذين سمعوا دعوى النبوة، بما يوصلهم إلى القناعة والاطمئنان إلى صدق النبوة. أما إظهارها في جميع الأماكن، أو إظهارها إظهاراً بديهياً بحيث يضطر الناس إلى القبول والرضوخ فهو منافٍ لحكمة الله الحكيم ذي الجلال، ومخالف أيضاً لسر التكليف الإلهي. ذلك لأن سر التكليف الإلهي يقتضي فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه.

* * *

المكتوب العشرون

غايات!

اعلـم يقيناً أن أسمى غاية للخلـق، وأعظـم نتيجة للفطرة الإنسانية.. هو «الإيمـان بالله».. وأعلم أن أعلى مرتبـة للإنسانيـة، وأفضل مقام للبشرية.. هو «معرفة الله» التي في ذلك الإيمان.

واعلم أن أزهى سعادة للإنس والجن، وأحلى نعمة.. هو «محبة الله» النابعة من تلك المعرفة.

واعلم أن أصفى سرور لروح الإنسان، وأنقى بهجة لقلبه.. هو «اللذة الروحية» المترشحة من تلك المحبة.

معرفة الله ومحبته:

إن جميع أنواع السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة، إنما هي في «معرفة الله» في «محبة الله». فلا سعادة، ولا مسرة، ولا نعمة حقاً بدونها.

أهل السعادة:

كل من عرف الله تعالى حق المعرفة، وملأ قلبه من نور محبته، سيكون أهلاً لسعادة لا تنتهي، ولنعمة لا تنضب، ولأنوار وأسرار لا تنفد، وسينالها إما فعلاً وواقعاً أو استعداداً وقابلية.

أهل الشقاء:

الذي لا يعرف خالقه حق المعرفة، ولا يكنّ له ما يليق من حب وود، يصاب بشقاء مادي ومعنوي دائمين، ويظل يعاني من الآلام والأوهام ما لا يحصر.

بين السعادة والتعاسة:

ما أشد بؤس هذا الإنسان المضطرب في دوامة حياة فانية زائلة وبين جموع سائبة من البشر إن لم يجد مولاه الحق، ولم يعرف مالكه وربه حق المعرفة! ولكن لو وجد ربه وعرف مولاه ومالكه لالتجأ إلى كنف رحمته الواسعة، واستند إلى جلال قدرته المطلقة.. ولتحولت له الدنيا الموحشة روضة مؤنسة، وسوق تجارة مربحة.

الاعتصام بالله:

إن الله واحد أحد، فلا تتعب نفسك ـ أيها الإنسان ـ بمراجعة الأغيار. ولا تتذلل لهم، فترزح تحت منتهم وأذاهم.. ولا تحن رأسك أمامهم وتتملق لهم.. ولا ترهق نفسك فتلهث وراءهم.. ولا تخف منهم وترتعد إزاءهم.. لأن سلطان الكون واحد، وعنده مفاتيح كل شيء، بيده مقود كل شيء، تنحل عقد كل شيء بأمره، وتنفرج كل شدة بإذنه.. فإن وجدته فقد ملكت كل شيء، وفزت بما تطلبه، ونجوت من أثقال المن والأذى ومن أسر الخوف والوهم.

التوجه إلى الله:

إن الإنسان الذي استنارت روحه بنور الإيمان، ليستطيع عرض حاجاته كلها بلا حاجز ولا مانع بين يدي ذلك الجميل ذي الجلال، ذلك القدير ذي الكمال، ويطلب ما يحقق رغباته، أينما كان هذا الإنسان وحيثما حلّ، فيفرش حاجاته ومطاليبه كلها أمام ذلك الرحيم الذي يملك خزائن الرحمة الواسعة، مستنداً إلى قوته المطلقة، فيمتلئ عندئذ فرحاً كاملاً وسروراً غامراً.

التوكل على الله:

أيها الإنسان! لا تحسب أنك مالك نفسك.. كلا.. لأنك لا تقدر على أن تدير أمور نفسك.. وذلك حمل ثقيل، وعبء كبير، ولا يمكنك أن تحافظ عليها، فتنجيها من البلايا والرزايا، وتوفر لها لوازم حياتك.. فلا تجرّع نفسك إذن الآلام سدىً، فتلقي بها في أحضان القلق والاضطراب دون جدوى، فالملك ليس لك، وإنما لغيرك، وذلك المالك قادر، وهو رحيم. فاستند إلى قدرته، ولا تتهم رحمته.. دع ما كدر، خذ ما صفا.. انبذ الصعاب والأوصاب وتنفس الصعداء، وحز على الهناء والسعادة.

الثمار تتعاقب:

أيها الإنسان! لا تقاس الألم بزوال النعمة، لأن خزائن الرحمة لا تنفد، ولا تصرخ من زوال اللذة، لأن تلك النعمة ليست إلّا ثمرة رحمة واسعة لا نهاية لها. فالثمار تتعاقب ما دامت الشجرة باقية.

بين الواجب والأجرة:

أيها الإنسان! لا ترهق نفسك بحمل أعباء الحياة الثقيلة على كاهلك الضعيف، ولا تذهب نفسك حسرات على فناء الحياة وانتهائها. ولا تظهر الندم والتذمر من مجيئك إلى الحياة كلما ترى زوال نعيمها وتفاهة ثمراتها.. واعلم أن حياتك التي تعمر وجودك إنما تعود إلى «الحي القيوم» فهو المتكفل بكل حاجاتها ولوازمها. فهذه الحياة تعود إليه وحده، بغاياتها الوفيرة، ونتائجها الكثيرة. وما أنت إلّا عامل بسيط في سفينة الحياة. فقم بواجبك أحسن قيام، ثم اقبض أجرتك وتمتع بها. وتذكر دائماً: مدى عِظَمَ هذه الحياة التي تمخر عباب الوجود، ومدى جلالة فوائدها، وثمراتها، ومدى كرم صاحبها وسعة رحمة مولاها.. تأمل ذلك واسبح في فضاء السرور، واستبشر به خيراً، وأدّ شكر ما عليك تجاه مولاك. واعلم بأنك إن استقمتَ في أعمالك تسجّل في صحيفتها أولاً نتائج سفينة الحياة هذه، فتوهب لك حياة باقية، وتحيا حياة أبدية.

حقيقة الموت:

الموت ليس إعداماً، ولا عبثاً ولا سدى ولا انقراضاً، ولا انطفاءً، ولا فراقاً أبدياً.. كلا فالموت ليس عدماً، ولا مصادفة، ولا انعداماً ذاتيا بلا فاعل.. بل هو تسريح من لدن فعال حكيم رحيم، وتبديل مكان، وتغيير مقام، وسَوق نحو السعادة الخالدة.. حيث الوطن الأصلي.. أي هو باب وصال لعالم البرزخ.. عالم يجمع تسعةً وتسعين بالمائة من الأحباب.

تجليات الكمال والإحسان:

إن الكمال والحسن والإحسان الظاهر في الموجودات وسيلةً للمحبة.. يتجلى بما لا يمكن وصفه وبما لا يحده حدود وفوق الدرجات العلى من مالك الجمال والكمال والإحسان، فومضةٌ من تجليات جماله سبحانه تعادل جميع محبوبات الدنيا بأسرها.. هذا الإله المحبوب المعبود له حياة أبدية دائمة منزهة عن كل شوائب الزوال وظلال الفناء، مبرأة عن كل عوارض النقص والقصور.

ثق بوعد الله فالموعد الجنة:

أيها الإنسان! إن أعمالك التي أديتها، وعبوديتك التي قمت بها، لا تذهب هباءً منثوراً، فهناك دار جزاء خالدة، ومقام سعادة هانئة قد

هيئ لك. فأمامك جنة خالدة متلهفة لقدومك، مشتاقة إليك. فثق بوعد خالقك ذي الجلال الذي تخر له ساجداً عابداً، وآمن به واطمئن إليه، فإنه محال أن يخلف وعداً قطعه على نفسه، إذ لا تشوب قدرته شائبة أو نقص، ولا يداخل أعماله عجز أو ضعف، فكما خلق لك حديقتك الصغيرة ويحييها، فهو قادر على أن يخلق لك الجنة الواسعة، بل قد خلقها فعلاً، ووعدك بها، ولأنه وعد فسيفي بوعده حتماً ويأخذك الى تلك الجنة.

إلى ربك المنتهى:

إن الذين يُرسلون إلى دار الدنيا.. دار الامتحان والاختبار للتجارة وإنجاز الوظائف، سيرجعون مرة أخرى إلى مرسلهم الخالق ذي الجلال، بعد أن أدّوا وظائفهم وأتموا تجارتهم وأنهوا خدماتهم وسيلاقون مولاهم الكريم الذي أرسلهم.. أي: أنهم سيتشرفون بالمثول بين يدي ربهم الرحيم، في مقعد صدق عند مليكهم المقتدر، ليس بينهم وبينه حجاب. وقد خلصوا من مخاض الأسباب وظلام الحجب والوسائط وسيجد كل واحد منهم ويعرف معرفة خالصة كاملة خالقه وربه وسيده ومليكه.

نعيم الدنيا والجنة:

إن قضاء ألف سنة من حياة الدنيا وفي سعادة مرفهة، لا يساوي ساعة واحدة من حياة الجنة! وإن قضاء حياة ألف سنة

وسنة بسرور كامل في نعيم الجنة لا يساوي ساعة من فرحة رؤية جمال الجميل سبحانه.

بوابة الخلود:

أيها الإنسان! لا تتوهم أنك ماضٍ إلى الفناء، والعدم، والعبث، والظلمات، والنسيان، والتفسخ، والتحطم، والانهشام، والغرق في الكثرة والانعدام، بل أنت ذاهب إلى البقاء لا إلى الفناء، وأنت مسوق إلى الوجود الدائم لا إلى العدم، وأنت ماضٍ إلى عالم النور لا إلى الظلمات وأنت سائر نحو مولاك ومالكك الحق، وأنت عائد إلى مقر سلطان الكون.. سلطان الوجود.. سترتاح وتنشرح في ميدان التوحيد دون الغرق في الكثرة أبداً، فأنت متوجه إلى اللقاء والوصال دون البعاد والفراق.!

تجليات الأسماء الحسنى:

إن زوال الموجودات دائماً وتجددها باستمرار يبينان: أن تلك الموجودات هي تجليات أسماء لصانع قدير.. وظلال أنوار أسمائه الحسنى.. وآثار أفعاله.. ونقوش قلم قدره وصحائف قدرته.. ومرايا جمال كماله. وأن رب العالمين يبين هذه الحقيقة العظمى، وهذه المرتبة العليا للتوحيد بجميع كتبه وصحفه المقدسة التي أنزلها، كما أن جميع

أهل التحقيق العلماء والكاملين من البشر يثبتون مرتبة التوحيد نفسها بتحقيقاتهم العلمية وكشفياتهم.. وكذا الكون مع عجزه وفقره يشير إلى مرتبة التوحيد نفسها بما نال من معجزات الصنعة وخوارق القدرة وخزائن الثروة.

نظام وميزان:

إننا كلما فتحنا أعيننا وصوبنا نظرنا في وجه الكائنات، لفت نظرنا ـ أول ما يلفت ـ نظام عام كامل، وميزان دقيق شامل.. فكل شيء في نظام دقيق، وكل شيء يوزن بميزان حساس وكل شيء محسوب حسابه بدقة.. وإذا ما دققنا النظر، يلفت نظرنا تنظيم ووزان متجددان، أي: أن واحداً أحداً يغير ذلك النظام بانتظام ويجدّد ذلك الميزان بمقدار.. فيصبح كل شيء نموذجاً «موديلاً» تُـخلَع عليه صورٌ موزونة منتظمة كثيرة جداً..

تفكر في الاتجاهات الأربع:

كلما دققنا النظر في أول كل موجود وبدايته رأينا ما يدل على علم عليم، وكلما دققنا النظر في آخره شاهدنا برامج صانع، وكلما دققنا في ظاهر الشيء رأينا حلة بديعة في غاية الإتقان لفاعل مختار مريد، وكلما نظرنا إلى باطن الشيء شاهدنا جهازاً في غاية الانتظام لصانع قدير.

العالمان الأكبر والأصغر:

إن العالم الأكبر أي الكون كله، والإنسان وهو العالم الأصغر ومثاله المصغر، يظهران معاً دلائل الوحدانية المسطّرة في الآفاق والأنفس بقلم القدر والقدرة.

نموذج مصغر للصنعة المتقنة:

إن في الإنسان النموذج المصغر للصنعة المتظمة المتقنة الموجودة في الكون، وإذ تشهد الصنعة التي في تلك الدائرة الكبرى على الصانع الواحد، تشير الصنعة الدقيقة المجهرية الموجودة في الإنسان إلى ذلك الصانع أيضاً وتدل على وحدته.

الخلق لله:

كما أن هذا الإنسان مكتوبٌ رباني ذو مغزى عميق، وقصيدة منظومة للقدر الإلهي، كذلك الكائنات قصيدة قدرية منظومة دبجت بذلك القلم نفسه، وبمقياس مكبر. فهل يمكن لغير الواحد الأحد أن يتدخل في سكة التوحيد المضروبة على وجه الإنسان والمتوجهة بالعلامات الفارقة إلى ما لا يحد من الناس، أو أن يتدخل في ختم الوحدانية المضروب على الكائنات الجاعل موجوداتها كلها متعاونة متكاتفة؟

المسجد الكبير:

إن الصانع الحكيم قد خلق العالم الأكبر خلقاً بديعاً ونقش آيات كبريائه عليه، بحيث جعل الكون على صورة مسجد كبير. وأنشأ سبحانه هذا الإنسان في أحسن تقويم، واهباً له العقل، بحيث جعله يسجد سجدة إعجاب أمام معجزات صنعته وبديع قدرته. واستقرأه آيات كبريائه، حتى صيّره عبداً ساجداً في ذلك المسجد الكبير بما غرز في فطرته من العبودية والخضوع له. فهل من الممكن أن يكون المعبود الحقيقي للساجدين العابدين في هذا المسجد الكبير غير الصانع الواحد الأحد؟

مزارع الكون:

إن مالك الملك ذا الجلال قد أنشأ العالم الأكبر، ولا سيما وجه الأرض إنشاءً كأنها دوائر متداخلة بما لا تعد ولا تحصى، كل دائرة بمثابة مزرعة أو حقل يزرع فيها، كل وقت وكل موسم وكل عصر، ويحصد ويحصّل على المحاصيل، وهكذا يُشغل مُلكه باستمرار ويتصرف في أموره كل حين. حتى إنه جعل أعظم دائرة من تلك الدوائر وهي دائرة الذرات في الكون مزرعة واسعة يزرع فيها ويحصل منها بقدرته وحكمته محاصيل بقدر الكون، ويرسل تلك المحاصيل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن دائرة القدرة إلى دائرة العلم.

كتاب العالم:

إن صنعة الصانع الجليل في العالم الأكبر تحمل من المعاني الغزيرة ما يظهرها كأنها كتاب بديع، مما دفع عقل الإنسان إلى استلهام حكمة العلوم الـحقيقية منه، ويكتب مكتبتها على وفقه، فذلك الكتاب البديع الحكيم موثوق الصلة بالحقيقة، ومستمدٌ منها إلى حدّ أُعلن عنه في صورة قرآن حكيم ـ منظور ـ والذي هو نسخة من الكتاب المبين.

بين العظمة والرحمة:

إن القدرة الإلهية تُظهر عظمة الربوبية في العالم الأكبر، أما الرحمة الربانية فإنها تنظّم النِعم في الإنسان؛ العالم الأصغر. أي أن قدرة الصانع ـ من حيث الكبرياء والجلال ـ أوجدت العالم كله كأنه قصر عظيم، وجعلت الشمس فيه سراجاً وهاجاً، والقمر قنديلاً، والنجوم مصابيح، وجعلت سطح الأرض سفرة مبسوطة للطعام، ومزرعة جميلة، وبستاناً زاهياً، وجعلت الجبال مخازن ومستودعات، وأوتاداً للتثبيت، وقلاعاً عظيمة.. وهكذا جعلت جميع الأشياء لوازم وأثاثاً لذلك القصر المنيف، بمقياس مكبر، وأظهرت عظمة ربوبيته سبحانه مثلما أسبغت رحمته سبحانه ـ من حيث الجمال ـ صنوف نعمه على كل كائن حي، حتى على أصغره، ونظّمت عليه، فجمّلت الكائنات طراً بالنعم وزيّنتها باللطف

والكرم، دافعة هذه الألسنة الصغيرة الناطقة بجمال الرحمة أن تقابل تلك الألسنة العظيمة الناطقة بجلال العظمة، أي أن الأجرام الكبيرة، كالشمس والعرش حينما تنطق بلسان العظمة: «يا جليل.. يا كبير.. يا عظيم» تقابلها ألسنة الرحمة في البعوض والسمك والحيوانات الصغيرة بـ«يا جميل.. يا رحيم.. يا كريم..» مكونة بذلك نغمات منسجمة في موسيقى كبرى، تزيدها حلاوة ولذة.

أدلة على الله:

من ذا الذي يجعل الشمس مسخرة لسكنة الأرض غير الخالق الواحد؟ ومن ذا غير ذلك الواحد الأحد يمسك الهواء ويسخره في وظائف جليلة وعلى سطح الأرض كافة؟ ومن غير ذلك الواحد الأحد يقدر على استخدام النار طباخة للأحياء ويجعلها تلتهم أشياء أكبر من حجمها بآلاف المرات؟ وهكذا.. فكل شيء وكل عنصر وكل جرم سماوي يدل على الواحد ذي الجلال.

الواحدية والأحدية:

إن عظمة الربوبية الظاهرة في مجموع الكون، تثبت الوحدانية الإلهية وتدل عليها، كما أن النعمة الربانية التي تعطي الأرزاق المقننة حتى لجزئيات ذوي الحياة، تثبت الأحدية الإلهية وتدل عليها.

أما الواحدية فتعني: أن جميع تلك الموجودات ملكٌ لصانع واحد، وتتوجه إلى صانع واحد، وكلها إيجاد موجِد واحد.

أما الأحدية فهي: أن أكثر أسماء خالق كل شيء يتجلى في كل شيء.

كل شيء يدل على الله:

كما أن للصانع الجليل سكة كبرى وعلامة عظمى على العالم الأكبر كله، كذلك وضع سكة وحدانيته وعلامتها على كل جزء من أجزاء الكون وعلى كل نوع من أنواعه أيضاً.. وكما أنه وضع ختم الوحدانية على وجه الإنسان ـ وهو العالم الأصغر ـ وعلى جسمه كذلك، وضع الختم نفسه على كل عضو من أعضائه.

لله الحمد:

إن الكمالات التي هي سبب المدح والثناء، في الموجودات كافة، تخصّه وحده سبحانه، ولهذا فالحمد أيضاً له وحده، فكل ما صدر وما يصدر من مدح وثناء من الأزل إلى الأبد، وممن صدر وعلى مَن وقع، يخصُّه وحده. لأن كل ما هو سبب المدح والثناء من كمال وجمال ومن نعم وآلاء وكل ما هو مدار الحمد، هو لله تعالى، يخصه وحده.

بستان العالم:

عندما ننظر إلى العالم نشاهده كبستان عظيم، سقفه مرصّع بالنجوم، وأرضه زيّنت بموجودات جميلة زاهية.. فهذه الأجرام العلوية النورانية المنتظمة، والموجودات الأرضية الحكيمة المزينة، في هذا البستان العظيم، كل منها يقول بلسانه الخاص، وجميعها تقول معاً: نحن معجزات قدرة قدير جليل، نشهد على وحدانية خالق حكيم وصانع قدير.

أجيال متعاقبة:

إننا نشاهد خيماً منصوبة على أرجاء الأرض كافة لجيش ذوي الحياة العظيم، ونشاهد أيضاً أن جيشاً حديثاً من جيوش لا تعد ولا تحصى للحي القيوم يأتي من عالم الغيب ويتسلم أعتدته وتجهيزاته كل ربيع.

حقيقة الموت:

الموت ليس تخريباً وانطفاءً كي يسند إلى الأسباب، ويحال على الطبيعة، بل الموت مهما يبد ظاهراً انحلالاً وانطفاءً إلّا أنه في الحقيقة مبدأ ومقدمة لحياة باقية للإنسان وعنوان لتلك الحياة، مثلما تضمر البذرة تحت الأرض وتموت ظاهراً إلا أنها تمضي باطناً من حياة البذرة الجزئية إلى حياة السنبل الكلية.

من دائرة القدرة إلى دائرة العلم:

إن قديراً ذا جلال وحكيماً ذا كمال يمنح الحياة باستمرار بقدرته المطلقة ويوظّف طوائف الموجودات، وجزئيات كل طائفةٍ، والعوالم المتشكلة من تلك الطوائف.. ثم يسرّحها بحكمة، مُظهراً عليها الموت ويرسلها إلى عالم الغيب، أي أنه يحوّلها من دائرة القدرة إلى دائرة العلم.

مرايا قدرة الصانع:

إن موت أي كائن حي مهما كان جزئياً ـ لا بد أن يكون كحياته، أي يجري بقانون ربّ ذي جلال، بيده حقائق الحياة كلها وأنواع الموت جميعها، ويجريها بإذنه وبقوته وبعلمه. إن الموجودات تؤدي وظيفة المرآة بإظهار قدرة الصانع بعجزها، وبيان غناه سبحانه بفقرها، كذلك تدل بفنائها على بقائه سبحانه.

فقر الشتاء وغنى الربيع:

إن لباس الجوع وجلباب الفقر الذي يلبسه سطح الأرض وما عليه من أشجار في موسم الشتاء، وتبدل تلك الملابس بحلل الربيع الزاهية الطافحة بالغنى والثروات، دليل على قدير مطلق القدرة وعلى غني مطلق الغنى، وعلى أن الموجودات مرآة صافية لإظهار قدرته ورحمته سبحانه.

كل موجود معجزة:

ننظر إلى الموجودات فنرى أن كلاً منها معجزة من معجزات الصنعة والإبداع، وأنها توجد إيجاداً محيراً للألباب، في منتهى اليسر والسهولة، وبلا تكاليف ولا تكلف وفي أقصر وقت وفي أتم صورة معجزة. بمعنى أن هناك علماً لا يحد له حدود بحيث يؤدي إلى هذا العمل بسهولة مطلقة

دلائل القدرة والعلم والإرادة:

إن إيجاد جسم الإنسان الشبيه بماكنة مركبة من مئات الأجهزة المتباينة والآلات المختلفة من نطفة، وإيجاد الطير الذي يملك مئات الجوارح المختلفة من بيضة بسيطة، وإيجاد الشجرة التي لها مئات الفروع والأعضاء المتنوعة من بذرة صغيرة.. هذا الإيجاد لا ريب أنه يدل على القدرة والعلم، كما يشهد شهادة قاطعة وضرورية للإرادة الكلية لصانعها الـجليل. حيث إنه سبحانه بتلك الإرادة يخصص كل ما يتطلبه ذلك الشيء، ويعطي شكلاً خاصاً لكل جزء من أجزاء ذلك الشيء ولكل عضو ولكل قسم منه فيلبسه وضعاً معيناً.

قدرة بلا حدود:

إن إيجاد الجنة سهل كإيجاد الربيع، وإيجاد الربيع يسير كإيجاد زهرة واحدة بالنسبة إلى قدرة رب العالمين الذي يصرّف أمور هذا الكون بأفعاله الظاهرة المشهودة، ويمكن أن تكون إزاء تلك القدرة قيمة محاسن الصنعة البديعة لزهرة واحدة ولطف خلقتها بقيمة لطافة الربيع الزاهر.

الموجد والموجودات:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] إن الصانع الجليل لهذا الكون العظيم هو واجب الوجود، أي أن وجوده ذاتي أزلي، ابدي، عدمه ممتنع، زواله محال، وإن وجوده أرسخ طبقة من طبقات الوجود وأرساها وأقواها وأكملها، بينما سائر طبقات الوجود بالنسبة لوجوده سبحانه بمثابة ظلٍ في منتهى الضعف.

الحضور والقدرة:

إن الصانع القدير لما كان منزهاً عن المكان فهو حاضر إذاً بقدرته في كل مكان قطعاً، وحيث لا تجزؤ ولا انقسام، فيمكن إذاً أن يتوجه إلى كل شيء بجميع أسمائه الحسنى.

حكمة وإتقان:

إن الصانع القدير يخلق كل شيء بما يليق به بلا كلفة ولا معالجة ولا مباشرة، وفي منتهى السهولة والسرعة، فهو سبحانه يوجد الكليات بسهولة إيجاد الجزئيات ويخلق الجزئيات بإتقان الكليات.

مثال مصغر للكليات:

نعم! إن خالق الكليات والسماوات والأرض هو خالق الجزئيات وأفراد ذوي الحياة من الجزئيات التي تضمها السماوات والأرض، وليس غيره. لأن تلك الجزئيات الصغيرة إنما هي مثال مصغر لتلك الكليات وثمراتها ونواها.

عجائب الصنعة:

نعم! إن الجزئيات ليست قاصرة عن الكليات من حيث عجائب الصنعة وغرائب الخلق. فالأزهار ليست أدنى جمالاً عن النجوم الزاهرة ولا البذور أحط قيمة من الأشجار اليافعة، بل الشجرة المعنوية المدرجة بنقش القدر في البذرة الصغيرة أعجب من الشجرة المجسمة بنسج القدرة في البستان. وإن خلق الإنسان أعجب من خلق العالم.

يوم الحشر:

إن إحياء جميع الناس يوم الحشر الأعظم يسير كيسر جمع الجنود المتفرقين في الاستراحة بصوت من بوق، وهو مضمون صراحة الآية الكريمة: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

الحشر وما بعده:

إن الحياة التي هي شمس معنوية لهذه الدنيا ستطلع طلوعاً باقياً صباح الحشر بعد غروبها بخراب الدنيا. وسيفوز قسم من الجن والإنس بالسعادة الأبدية وينال قسم منهم الشقاء الدائم.

خالق كل شيء:

إذا أسند كل مخلوق وكل ذرة، مباشرة إلى الواحد الأحد، وانتسب إليه. فعندئذ، يهدم النمل صرح فرعون ويهلكه، ويصرع البعوض نمرود ويقذفه إلى جهنم وبئس المصير، وتُدخل جرثومة صغيرة ظالماً جباراً القبر، وتصبح بذرة الصنوبر الصغيرة بمثابة مصنع لشجرة الصنوبر الضخمة ضخامة الجبل، وتتمكن ذرات الهواء أن تؤدي من أعمال منتظمة مختلفة للأزهار والثمرات وتدخل في تشكيلاتها المتنوعة. كل ذلك بحول سيد المخلوق وبقوة ذلك الانتساب. فهذه السهولة المشاهدة

كلها نابعةٌ بالبداهة من التوظيف والانتساب، بينما إذا انقلب الأمر إلى التسيب والفوضى، وترك الحبل على غاربه، وعلى نفس الشيء والأسباب والكثرة، وسُلك طريق الشرك، فعندئذٍ لا ينجز الشيء من الأعمال إلّا بقدر جرمه ومقدار شعوره.

بين التوحيد والشرك:

إن في طريق الوحدة والإيمـان سهولة مطلقة بدرجة الوجوب، بينما في طريق الشرك والأسباب والكثرة مشكلات وصعوبات بدرجة الامتناع، لأن الواحد يعطي وضعاً معيناً لكثير من الأشياء، ويستحصل منها نتيجة معينة دون عناء، بينما لو أحيل اتخاذ ذلك الوضع واستحصال تلك النتيجة إلى تلك الأشياء الكثيرة، لما أمكن ذلك إلّا بتكاليف وصعوبات كثيرة جداً وبحركات كثيرة جداً.

* * *

المكتوب الحادي والعشرون

أسمى حقيقة وأعلى حق:

إن أسمى حقيقة في الدنيا هي شفقة الأمهات والآباء حيال أولادهم، وإن أعلى الحقوق كذلك هو حق احترامهم مقابل تلك الشفقة والرأفة؛ ذلك لأنهم يضحّون بحياتهم فدىً لحياة أولادهم بكل لذة وسعادة. ولذلك فإن كل ولد ـ إن لم تسقط إنسانيته ولم ينقلب بعد إلى وحش ـ لا بد أن يوقّر بإخلاص أولئك الأحبة المحترمين، المضحين الصادقين ويقوم بخدمتهم خدمة صادقة، ويسعى لنيل رضاهم وإدخال البهجة في قلوبهم.

من تجليات الرزق:

إن الخالق ذا الجلال والإكرام الذي هو الرحمن الرحيم وهو اللطيف الكريم ـ بشهادة ما في الكون أجمع ـ حينما يرسل الأطفال إلى الدنيا فإنه يرسل أرزاقهم عقبهم مباشرة في منتهى اللطف؛ كانقذاف ما في الأثداء وتفجيره كالينابيع إلى أفواههم، كذلك فإن أرزاق العجزة ـ الذين دخلوا في عداد الأطفال بل هم أحق بالمرحمة وأحوج إلى الرأفة ـ يرسلها لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصورة بَرَكَة، ولا يحمّل الأشحاء من الناس إعاشة هؤلاء ولا يدعها لهم.

ألوان من البركة:

أيها الإنسان! إن حيواناً شبه مفترس يأتي ضيفاً إلى بيت يكون محوراً للبركة، فكيف إذا حلّ في البيت من هو أكرم المخلوقات وهو الإنسان؟ ومن هو أكملهم من بين الناس وهو المؤمن؟ ومن هو من العجزة والمعلولين المعمرين من بين أهل الإيمان؟ ومن هو أكثر أهلاً للخدمة والمحبة من بين المعلولين والمعمّرين وأولى من يستحقونها وهم الأقربون؟ ومن هم أخلص صديق وأصدق محب من بين هؤلاء الأقربين وهم الوالدان؟! كيف بهم إذا حلوا في البيت؟ فلك أن تقيس ما أعظمها من وسيلة للبركة، ومن وساطة لجلب الرحمة ومن سبب لدفع المصيبة، كما يتضمنه معنى الحديث الشريف: «لولا الشيوخ الركع لصبّ عليكم البلاء صباً».

الجزاء من جنس العمل:

أيها الإنسان: تأمل.. واعتبر واعلم أنك إن لم تمت فلا مناص من أن تصير شيخاً عجوزاً، فإن لم تحترم والديك، فسيأتي عليك يوم لا يوقرك أولادك ولن يحترموك، وذلك بما أودع الله من سر في «الجزاء من جنس العمل». لذا.. إن كنت محباً لآخرتك فدونك كنزٌ عظيم ألا وهو: اخدمهما ونل رضاهما. وإن كنت تحب الدنيا فأرضهما

كذلك واشكر لهما حتى تمضي حياتك براحة، وحتى يأتي رزقك ببركة من ورائهم. وإلّا.. فإن استثقال هؤلاء وتمني موتهم وتجريح قلوبهم الرقيقة الحساسة يجعلك ممن تنطبق عليه حقيقة الآية الكريمة: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الحج: ١١].

* * *

المكتوب الثاني والعشرون

ثمرات العداء:

إن ما يسببه التحـايز والعنـاد والـحسد من نفاق وشقاق في أوساط الـمؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلاً. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى. فضلاً عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة.

العداوة والشفقة:

العداء ظلم في نظر الحكمة، إذ العداء والمحبة نقيضان ـ كما لا يخفى ـ فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معاً بمعناهما الحقيقي أبداً. فإذا ما اجتمعت دواعي المحبة وترجحت أسبابها فأرست أسسها في القلب، استحالت العداوة إلى عداء صوري، بل انقلبت إلى صورة العطف والإشفاق، إذ المؤمن يحب أخاه، وعليه أن يوده، فأيما تصّرف مشين يصدر من أخيه يحمله على الإشفاق عليه، وعلى الجد في محاولة إصلاحه باللين والرفق دون اللجوء إلى القوة والتحكم.

العداوة ظلم شديد:

ما أشده من ظلم أن يحمل المؤمن عداء وحقداً لأخيه! فكما أنك إذا استعظمت حصيات تافهة ووصفتها بأنها أسمى من الكعبة المشرفة وأعظم من جبل حد، فإنك بلا شك ترتكب حماقة مشينة، كذلك هي حماقة مثلها إن استعظمت زلات صدرت من أخيك المؤمن واستهولت هفواته التي هي تافهة تفاهة الحصيات، وفضلت تلك الأمور التافهة على سمو الإيمان الذي هو بسمو الكعبة، ورجحتها على عظمة الإسلام الذي هو بعظمة جبل أُحد. فتفضيلك ما بدر من أخيك من أمور بسيطة على ما يتحلى به من صفات الإسلام الحميدة ظلم وأي ظلم! يدركه كل من له مسكة من عقل.

دواعي المحبة والوحدة:

إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بهـا على قلب واحد، ووحدة العقيـدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع. فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تـحت إمرة قائد واحـد، بل تشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة، فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات

الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى. فيرشدك مثلاً إلى: أن خالقكما واحد، مالككما واحد، معبود كما واحد، رازقكما واحد.. وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف. ثم، إن نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة. ثم، إنكما تعيشان معاً في قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة، في بلاد واحدة.. وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة.

الموقف من الآخر:

عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: «إن مسلكي حق أو هو أفضل» ولكن لا يجوز لك أن تقول: «إن الحق هو مسلكي أنا فحسب». لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكاً ولا حكماً يقضي على بطلان المسالك الأخرى.

دستور مهم في الكلام:

عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق. وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق، لأن من كان على نية غير خالصة ـ مثلك ـ يحتمل أن يثير المقابل بنصائحه فيحصل عكس المراد.

الذين يستحقون العداوة:

إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعاد ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها. وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك. فقاوم هواها، واسع إلى إصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها. وإن كنت تريد العداء أيضاً فعاد الكفار والزنادقة، فهم كثيرون. واعلم أن صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر.

كيف تغلب خصمك:

إن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فبه تخمد نار الخصومة. أما إذا قابلت إساءته بمثلها فالخصومة تزداد، حتى لو أصبح مغلوباً ـ ظاهراً ـ فقلبه يمتلئ غيظاً عليك، فالعداء يدوم والشحناء تستمر، بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم، وقد يكون صديقاً حميماً لك، إذ إن من شأن المؤمن أن يكون كريماً، فإن أكرمته فقد ملكته وجعلته أخاً لك، حتى لو كان لئيماً ـ ظاهراً ـ إلا انه كريم من حيث الإيمان.

تأثير الإيحاء:

إن الواقع يشهد: أن مخاطبة الفاسد بقولك له: «إنك صالح، إنك فاضل...» ربما يدفعه إلى الصلاح وكذا مخاطبة الصالح: «إنك طالح، إنك فاسد...» ربما يسوقه إلى الفساد.

ثمرات العداوة:

إن الذين يملأ قلوبهم الحقد والعداوة تجاه إخوانهم المؤمنين إنما يظلمون أنفسهم أولاً، علاوة على ظلمهم لإخوانهم، وفضلاً عن تجاوزهم حدود الرحمة الإلهية، حيث إنه بالحقد والعداوة يوقع نفسه في عذاب أليم، فيقاسي عذاباً كلما رأى نعمة حلّت بخصمه، ويعاني ألماً من خوفه. وإن نشأت العداوة من الحسد فدونه العذاب الأليم، لأن الحسد أشد إيلاماً للحاسد من المحسود حيث يحرق صاحبه بلهيبه، أما المحسود فلا يمسه من الحسد شيء، أو يتضرر طفيفاً.

علاج الحسد:

علاج الحسد هو: أن يلاحظ الحاسد عاقبة ما يحسده، ويتأمل فيها، ليدرك أن ما ناله محسوده من أعراض دنيوية ـ من مال وقوة ومنصب ـ إنما هو أعراض زائلة فانية. فائدتها قليلة، مشقتها عظيمة.

أما إذا كان الحسد ناشئاً من دوافع أخروية، فلا حسد أصلاً. ولو تحرك عرق الحسد حتى في هذه الأمور، فالحاسد إما أنه مراء، يحبط حسناته الأخروية في الدنيا، أو أنه يسيء الظن بمحسوده فيظلمه.

الحسد سخط على القدر:

إن الحاسد في حسده يسخط على قدر الله، لأنه يحزن من مجيء فضل من الله ورحمته على محسوده، ويرتاح من نزول المصائب عليه، أي كأنه ينتقد القدر الإلهي ويعترض على رحمته الواسعة. ومعلوم أن من ينتقد القدر كمن يناطح الجبل، ومن يعترض على الرحمة الإلهية يُحرم منها.

الشيطان والسياسة:

رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقدح بعالم فاضل، بانحياز مغرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثنى ـ في الوقت نفسه ـ على منافق يوافقه في الرأي السياسي!. فأصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعذت بالله مما آلت إليه السياسة وقلت: «أعوذ بالله من الشيطان والسياسة». ومنذئذٍ انسحبت من ميدان الحياة السياسية.

نوعان من الاختلاف:

إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح، ولكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار، بل تتولد شرارة الفتن. فلا تجد بين أمثال هؤلاء اتفاقاً في المقصد والغاية، بل ليس على الكرة الأرضية نقطة تلاق لأفكارهم، ذلك لأنه ليس لأجل الحق، فترى فيه الإفراط البالغ دون حدود، مما يفضي إلى انشقاقات غير قابلة للالتئام. وحاضر العالم شاهد على هذا.

ضوابط لسلوك المؤمن:

إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف: «الحب في الله والبغض في الله» والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها، فالنفاق والشقاق يسودان..

نعم، إن الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفاً ظلماً في الوقت الذي يروم العدالة.

غفلة المسلمين:

إن أشد القبائل تأخراً يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم.

وإذ تقدّر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها، فما للذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة فيمهدون بها سبل إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم؟! فلقد تراصف الأعداء حولهم وأطبقوا عليهم من كل مكان.. إن هذا الوضع تدهور مخيف، وانحطاط مفجع، وخيانة بحق الإسلام والمسلمين.

القلعة الحصينة:

أيها المؤمنون! إن كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين

يستغلون خلافاتكم الداخلية.. وإلا تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم، إذ لا يخفى أن طفلاً صغيراً يستطيع أن يضرب بطلين يتصارعان، وأن حصاة صغيرة تلعب دوراً في رفع كفة ميزان وخفض الأخرى ولو كان فيهما جبلان متوازنان.

طريق العزة والسعادة:

يا معشر أهل الإيمان! إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزبكم، فقوة قليلة جداً تتمكن من أن تذيقكم الذل والهلاك. فإن كنتم حقاً مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً» وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة.

الإخلاص طريق الخلاص:

إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله، إذ يضيع الإخلاص!. ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها، فلا يوفق توفيقاً كاملاً إلى عمل خالص لوجه الله. ثم إنه لا يوفق أيضاً إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم.. وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر «الإخلاص والعدالة» بالخصام والعداء.

داء الحرص:

إن الحرص داءٌ كالعداء بل هو أضرَّ على الحياة الإسلامية وأدهى عليها. نعم، الحرصُ بذاته سببُ الخيبة والخذلان، وداءٌ وبيل ومهانة وذلة، وهو الذي يجلب الحرمان والدناءة. إن الشاهد القاطع على هذا الحُكم على الحرص، هو ما أصاب اليهود من الذلة والمسكنة والهوان والسفالة لشدة تهالكهم على حطام الدنيا أكثر من أية أمةٍ أخرى.

الرزق والحرص:

إن النباتات والأشجار المثمرة المفتقرة إلى الرزق ـ وهي التي تعدّ نوعاً من الأحياء ـ تُهرع إليها أرزاقُها سريعةً وهي منتصبة في أماكنها متّسمة بالتوكل والقناعة دون أن يبدو منها أثر للحرص، بل تتفوق على الحيوانات في تكاثرها وتربية ما تولّد من ثمرات. أما الحيوانات فلا تحصل على أرزاقها إلا بعد جهد ومشقة وبكمية زهيدة ناقصة، ذلك لأنها تلهث وراءها بحرص، وتسعى في البحث عنها حثيثاً. حتى إننا نرى في عالم الحيوان نفسه أن الأرزاق تُسبغ على الصغار الذين يعبِّرون عن توكلهم على الله بلسان حالات ضعفهم وعجزهم، فيُرسَل إليهم رزقُهم المشروع اللطيف الكامل من خزينة الرحمة الإلهية. بينما لا تحصل الحيوانات المفترسة التي تنقضّ على فرائسها بحرص شديد إلّا بعد لأيٍ كبير وتحرٍ عظيم.

ديوان ومائدة ومراتب:

الدنيا، ديوانُ ضيافة الرحمن، ووجه الأرض سُفرة الرحمة المبسوطة، ومائدة الرحمن المنصوبة، ودرجات الأرزاق ومراتب النعمة بمثابة المقاعد المتباينة.

عقوبة ترك الزكاة:

الذين لا يؤدون زكاة أموالهم لا محالة يفقدون أموالاً بقدرها ويبددونها إما في أمور تافهة لا طائل وراءها، أو تلمُّ بهم مصائب تنتزعها منهم انتزاعاً.

الغيبة سلاح دنيء:

إن الغيبة سلاح دنيء يستعمله المتخاصمون والحسّاد والمعاندون؛ لأن صاحب النفس العزيزة تأبى عليه نفسه أن يستعمل سلاحاً حقيراً كهـذا.

* * *

المكتوب الثالث والعشرون

تواصل إخوان الحقيقة:

أخي العزيز الغيور الجاد ذا الحقيقة الخالص الفطن!

إن أمثالنا من إخوان الحقيقة والآخرة لا يمنع اختلاف الزمان والمكان محاورتهم ومؤانستهم، فحتى لو كان أحدهم في الشرق وآخر في الغرب وآخر في الماضي وآخر في المستقبل وآخر في الدنيا وآخر في الآخرة يمكن أن يُعدّوا معاً، ويمكنهم أن يتحاور بعضهُم مع البعض الآخر، ولا سيما إن كانوا مجتمعين على غاية واحدة ويعملون في مهمة واحدة وواجب واحد، بل حتى يكون أحدهم هو في حكم عين الآخر.

بين الحرص والصبر:

الحرص سبب الحرمان، والصبر يحل المشاكل، حتى غدا من مضرب الأمثال: «الحريص خائب خاسر» و«الصبر مفتاح الفرج» بمعنى: أن عنايته سبحانه وتوفيقه مع الصابرين.

الشكوى إلى الله:

إن الإنسان الضعيف العاجز يتألم ويبكي من ضربات المصيبة ويشكو، ولكن يجب أن تكون الشكوى إليه لا منه، كما قال سيدنا

يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] أي شكوى المصيبة إلى الله وليس الشكوى من الله إلى الناس والتأفف والتحسر.

سن النضوج البشري:

إن النبوة تكليف ثقيل، وعبء عظيم جداً، لا يُحمل إلّا بعد نمو الملكات العقلية ونضوجها وتكامل الاستعدادات القلبية. أما زمن ذلك الكمال فهو الأربعون من العمر.

نعم الولي:

إن كنت تريد ولياً، فكفى بالله ولياً، نعم إن كان هو وليّك فكل شيء لك صديق.

نعم الأنيس:

إن كنت تريد أنيساً، فكفى بالقرآن الكريم أنيساً، إذ تعيش فيه مع الأنبياء والملائكة وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

نعم المال:

إن كنت تريد مالاً، فكفى بالقناعة كنزاً، نعم، إن القانع يقتصد، والمقتصد يجد البركة.

شر عدو:

إن كنت تريد عدواً، فكفى بالنفس عدواً، إذ المعجب بنفسه لا محالة يرى المصاعب ويبتلى بالمصائب، بينما الذي لا يعجب بها يجد السرور والراحة والرحمة.

خير واعظ:

إن كنت تريد واعظاً، فكفى بالموت واعظاً: حقاً من يذكر الموت ينجو من حب الدنيا ويسعى لآخرته سعياً حثيثاً.

* * *

المكتوب الرابع والعشرون

نعم ترد الشكوى:

أيها الإنسان الشاكي! إنك لم تبق معدوماً، بل لبست نعمة الوجود، وذقت طعم الحياة، ولم تبق جماداً ولم تصبح حيواناً، فقد وجدت نعمة الإسلام، ولم تبق في غياهب الضلال، وتنعمت بنعمة الصحة والأمان.

القناعة والاقتصاد:

اعلم يقيناً: أن القناعة شكران رابح، بينما الحرص كفران خاسر، والاقتصاد توقير للنعمة جميل ونافع، بينما الإسراف استخفاف بالنعمة مضرّ ومشين.

اشك نفسك إلى الله:

إن كنت راشداً، عوّد نفسك على القناعة، وحاول بلوغ الرضى. وإن لم تطق ذلك فقل: يا صبور! وتـجمّل بالصبر. وارض بحقك ولا تشكُ. واعلم ممن وإلى مَن تشكو! الزم الصمت. وإذا أردت الشكوى لا محالة فاشكُ نفسك إلى الله، فإن القصور منها.

أهم غاية للمخلوق:

إن أهم غاية للمصنوع هي النظر إلى صانعه الجليل، أي يعرض المصنوع كمـالات صنعة صانعه، ونقوش أسمائه الحسنى ومرصعات حكمته القيمة وهدايا رحمته الواسعة أمام نظره سبحانه ويكون مرآة لجماله وكماله جل وعلا.

كلمات تسبيحية:

إن فعالية القدرة في الكون وسير الأشياء وسيلانها، تحمل من المعاني الغزيرة بحيث يُنطق الصانعُ الحكيم أنواعَ الكائنات بتلك الفعالية، حتى كأن حركات السموات والأرض وحركات موجوداتها هي كلمات ذلك النطق وأن سيرها ودورانها تكلّم ونطق، بمعنى أن الحركات والزوال النابعين من الفعالية ما هي إلا كلمات تسبيحية، وأن الفعالية الموجودة في الكون هي نطق وإنطاق صامت للكون ولما فيه من أنواع.

صيرورة الأشياء:

إن الأشياء لا تمضي إلى العدم، ولا تصير إلى الفناء، بل تمضي من دائرة القدرة إلى دائرة العلم، وتدخل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وتتوجه من عالم التغير والفناء إلى عالم النور والبقاء، وإن

الجمال والكمال في الأشياء يعودان إلى الأسماء الإلهية وإلى نقوشها وجلواتها من زاوية نظر الحقيقة.

حقيقة الموت:

إن الله موجود وباق، وإن صفاته سرمدية وأسماءه دائمة، إذاً لا بد أن تجليات تلك الأسماء ونقوشها تتجدد في بقاء معنوي فليس تخريباً ولا فناءً ولا إعداماً وزوالاً. إذ من المعلوم أن الإنسان ذو علاقة ـ من حيث الإنسانية ـ مع أكثر الموجودات، فيتلذذ بسعادتها ويتألـم بمصائبها، ولا سيما مع ذوي الحياة، وبخاصة مع الإنسان وبالأخص مع من يحبهم ويعجب بهم ويحترمهم من أهل الكمال، فهو أشد تألماً بآلامهم وأكثر سعادة بسعادتهم حتى يضحي بسعادته في سبيل إسعادهم كتضحية الوالدة الشفيقة بسعادتها وراحتها من أجل ولدها.

طريق السعادة:

كل مؤمن يستطيع أن يكون بنور القرآن والإيمان سعيداً بسعادة جميع الموجودات وبقائها ونجاتها من العدم وصيرورتها مكاتيب ربانية ويغنم نوراً عظيمـاً بعظم الدنيا. فكلٌ يستفيد من هذا النور حسب درجته.

تجليات الأسماء الحسنى:

إن للأسماء الحسنى تجليات متنوعة لا تحد، فتنوع المخلوقات ناشئ عن تنوع تلك التجليات، وحيث إن صاحب كل جمال وكل كمال يرغب في مشاهدة جماله وكماله وإشهادهما، فإن تلك الأسماء المختلفة ـ لكونها دائمية وسرمدية ـ تقتضي ظهوراً دائمياً سرمدياً، أي تقتضي رؤية نقوشها، أي تقتضي رؤية وإراءة جلوة جمالها وانعكاس كمالها في مرايا نقوشها. أي تقتضي تجديد كتاب الكون الكبير آناً فآناً. أي كتابتها كتابة مجددة ذات مغزى، أي تقتضي كتابة ألوف من الرسائل المتنوعة في صحيفة واحدة، وإظهار كل رسالة لنظر شهود الذات المقدسة والمسمى الأقدس مع عرضها على مطالعة أنظار ذوي الشعور واستقرائهم.

بلاغة الموجودات:

إن كل موجود في العالم لفظ بليغ مجسم.

غياب الإيمان عدم:

كما أن كل شيء معدوم للأعمى والأصم والأبكم والمجنون، كذلك كل شيء معدوم مظلم بانعدام الإيمان.

قانون التبديل:

إن الخالق الرحيم، بأي قانون يبدّل لباس طائر وريشه، ويجدّده، يبدل ذلك الصانع الحكيم بالقانون نفسه لباس الكرة الأرضية كل سنة، ويبدل بالقانون نفسه صورة الكون قاطبة عند قيام الساعة ويغيرها.

بقاء لا فناء:

إن كل موجود، بعد ذهابه من الوجود، يذهب إلى العدم والفناء ظاهراً، ولكن تبقى المعاني التي كان قد أفادها وعبّر عنها وتحفظ، وتبقى كذلك هويته المثالية وصورته وماهيته في عالم المثال، وفي الألواح المحفوظة التي هي نماذج عالم المثال، وفي القوى الحافظة (الذاكرة) التي هي نماذج الألواح المحفوظة، بمعنى أن الموجود يفقد وجوداً ظاهرياً صورياً، ويكسب مئات من الوجود المعنوي والعلمي.

حكمة التبديل:

إن قلم القدر الإلهي يعطي هذه الموجودات الأرضية، ولا سيما النباتية منها، ترتيباً معيناً ووضعاً معيناً، والقدرة الإلهية توجدها في صحيفة موسم الربيع، فتعبّر عن معانيها الجميلة. وحيث إن صورها وهوياتها تنقل إلى سجل عالم الغيب، كعالم المثال، فإن الحكمة تقتضي أن يتبدل ذلك الوضع، كي تكتب صحيفة جديدة للربيع المقبل لتعبّر عن معانيها كذلك.

صور وحقائق غيبية:

إن كل شيء، سواء أكان جزئياً أم كلياً، بعد ذهابه من الوجود ـ ولا سيما إن كان ذا حياة ـ ينتج حقائق غيبية كثيرة فضلاً عن أنه يدع صوراً بعدد أطوار حياته في الألواح المثالية التي هي في سجلات عالم المثال، فيُكتب تاريخ حياته ذا المغزى من تلك الصور والذي يسمى بالمقدرات الحياتية، ويكون في الوقت نفسه موضع مطالعة الروحانيات، بعد ذهابه من الوجود.

تفكر في الربيع:

إن موسم الربيع المزدان بالمصنوعات الجميلة على سطح الأرض الشبيه بمزهرة عظيمة، إنما هو زهرة ناضرة تزول في الظاهر، وتذهب إلى العدم، بيد أنه ـ أي الربيع ـ يترك الحقائق الغيبية التي أفادها بعدد بذوره، ويترك الهويات المثالية التي نشرها بعدد الأزاهير، ويدع الحكم الربانية التي أظهرها بعدد الموجودات فيترك الربيع كل أنواع الوجود هذه، ثم يغيب عن أنظارنا، زد على ذلك فإنه يُفرغ المكان لأقرانه من جموع الربيع التي ستأتي إلى الوجود لتؤدي وظائفها؛ بمعنى أن ذلك الربيع ينزع عنه وجوداً ظاهرياً ويلبس ألفاً من الوجود معنىً.

مزرعة وسوق:

الدنيا مزرعة ومعمل ينتج المحاصيل التي تناسب سوق الآخرة.

الجنة وذكريات الدنيا:

الجنة التي هي دار اللذة ومنزل السعادة توجد فيها لا محالة المناظر السرمدية لمحاورات الأحداث الدنيوية ومناظر أحداثها. كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

معمل الوجود:

إن فناء هذه الموجودات الجميلة، بعد ظهورها في آن واحد، وتعاقب بعضها بعضاً يبيّن كأنما هي آلات معمل لتشكيل المناظر السرمدية.

تسبيحات وحالات:

إن الموجودات تؤدي أنواعاً من التسبيحات الربانية في أطوار حياتها، وتظهر ما تستلزمه الأسماء الإلهية وتقتضيها من حالات.

بقاء في الفناء:

إذا أكل الإنسان فواكه طيبة، فإنها تتجزأ وتتلاشى في معدته وتهضم وتمحى ظاهراً، إلّا أنها تعطي كل خلية من خلايا جسمه لذة

وذوقاً ضمن فعالية، فضلاً عن الفم والمعدة، ويكون مدار حِكَم كثيرة جداً كإنماء الحياة في أقطار الجسم وإدامتها، والطعام نفسه يرقى من الوجود النباتي إلى مرتبة حياة الإنسان.

صور تذكارية:

إن أهل المدنية يلتقطون صور الأوضاع الغريبة والجميلة ويهدونها إلى أبناء المستقبل تذكاراً لهم، كما هو على شاشة السينما. فيمنحون نوعاً من البقاء لأوضاع فانية، ويدرجون الزمان الماضي ويظهرونه في الزمان الحالي وفي المستقبل. كذلك هذه الموجودات الربيعية والدنيوية عامة، بعد قضاء حياة قصيرة، كما يدوّن صانعُها الحكيم غاياتها التي تخص عالم البقاء في ذلك العالم، كذلك يسجل الوظائف الحياتية والمعجزات السبحانية التي أدّوها في أطوار حياتها، في مناظر سرمدية، وذلك بمقتضى اسم الله الحكيم والرحيم والودود.

علامات الجمال والكمال:

إن لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى جمالاً وكمالاً مطلقين، وإن جميع أنواع الجمال والكمال المنقسمة على الكائنات جميعها، هي أمارات على جماله وكماله وإشارات إليهما وعلامات عليهما.

بشرى للمسلم:

بشراك أيها المسلم! إن لك شفيعاً كريماً في يوم الحشر الأعظم، هو هذا الرسول الحبيب ﷺ... فاسع لنيل شفاعته باتباع سنته المطهرة.

تفكر في الدعاء:

إن الدعاء نوع من العبادة، حيث يعلن الإنسان عجزه وفقره بالدعاء. أما المقاصد الظاهرية فهي أوقات تلك الأدعية والعبادة الدعائية، وهي ليست نتائج الأدعية وفوائدها الحقيقية، لأن فائدة العبادة وثمرتها متوجهة إلى الآخرة، أي يجنيها الداعي في الآخرة، لذا لو لم تحصل المقاصد الدنيوية التي يتضمنها الدعاء فلا يجوز القول: إن الدعاء لم يستجب، وإنما يصح القول: إنه لم ينقض بعد وقت الدعاء.

أطيب ثمرات الدعاء:

إن أطيب ثمرة حاضرة يجنيها المرء من الدعاء وألذّها، وإن أجمل نتيجة آنية يحصل عليها المرء من الدعاء وألطفها هي الآتي: إن الداعي يعلم يقيناً أن هناك من يسمعه، ويترحم عليه ويسعفه بدوائه، وقدرته تصل إلى كل شيء، وعندها يستشعر في نفسه أنه ليس وحيداً فريداً في

هذه الدنيا الواسعة بل هناك كريم ينظر إليه بنظر الكرم والرحمة، فيدخل الأنس إلى قلب الداعي، ويتصور أنه في كنف الرحيم المقتدر على قضاء حاجاته غير المحدودة ودفع أعدائه غير المعدودة. وفي حضور دائم أمامه، فيغمره الفرح والانشراح، ويشعر أنه قد ألقى عن كاهله عبئاً ثقيلاً، فيحمد الله قائلاً: الحمد لله رب العالمين.

أكمل محبوب لله:

إن الجميل ذا الجلال لمحبته جماله يحب محمداً ﷺ الذي هو أكمل مرآة ذات شعور لذلك الجمال. وإنه سبحانه لمحبته أسماءه يحب محمداً ﷺ الذي هو أجلى مرآة تعكس تلك الأسماء الحسنى. ويحب من يتشبهون بمحمد ﷺ أيضاً، كل حسب درجته.

أكمل الخلق:

لما كان خالق هذا الكون يخلق من كل نوع فرداً ممتازاً كاملاً جامعاً، ويجعله مناط فخر وكمال ذلك النوع، فلا شك أنه يخلق فرداً ممتازاً وكاملاً ـ بالنسبة للكائنات قاطبة ـ وذلك بتجلي الاسم الأعظم من أسمائه الحسنى. وسيكون في مصنوعاته فرداً أكمل كالاسم الأعظم في أسمائه. فيجمع كمالاته المنتشرة في الكائنات في ذلك الفرد الأكمل، ويجعله محط نظره. ولا ريب أن ذلك الفرد سيكون من ذوي

الحياة، لأن أكمل أنواع الكائنات هم ذوو الحياة، ويكون من ذوي الشعور، لأن أكمل أنواع ذوي الحياة هم ذوو الشعور، وسيكون ذلك الفرد الفريد من الإنسان، لأن الإنسان هو المؤهل لما لا يحد من الرقي. وسيكون ذلك الفرد حتماً محمداً الأمين ﷺ، لأنه لم يظهر أحد في التاريخ كله مثله منذ زمن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإلى الآن، ولن يظهر.

❊ ❊ ❊

المكتوب السادس والعشرون

الرسول القدوة:

إن رسولنا الأعظم ﷺ ظل في طور بشريته في أفعاله وأحواله وأطواره كلها ـ فيما سوى معجزاته وخصائصه ـ فانقاد انقياد طاعة لسنن الله وأوامره التكوينية، كأي إنسان آخر. فكان يقاسي البرد ويعاني الألم.. وهكذا لم يوهب له خوارق غير عادية في أحواله وأطواره كلها، وذلك ليكون قدوة للأمة بأفعاله، ومرشداً لهم بأطواره، وهادياً للناس كافة بحركاته وسكناته. إذ لو كان خارقاً للعادة في كل أطواره لَـمَا تسنّى له أن يكون إماماً للناس كافة، وقدوة لهم في جميع شؤونه بالذات، ولَـمَا كان مرشداً للناس كافة، ولما كان رحمةً للعالمين في جميع أحواله.

تيسير القرآن للذكر:

لو كان القرآن على نمط الكلام الإلهي الذي سمعه سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في «جبل الطور» لما أطاق البشر سماعه ولا قَدَر على الإنصات إليه، ولا استطاع أن يجعله مرجعاً لشؤونه كافة.

الإنكار والرفض:

إن الإنكار شيء وعدم القبول أو الرفض شيء آخر. إذ إن عدم القبول هو عدم مبالاة، فهو إغماض العين أمام الحقائق ونفي بجهالة،

وليس بحكم. وبهذا يمكن أن يستتر كثير من المحالات تحت هذا الستار، إذ لا يُشغل عقله بتلك الأمور. أما الإنكار فهو ليس بعدم قبول، بل هو قبول العدم، فهو حكم يضطر صاحبه إلى إشغال عقله وإعمال فكره.

أهم أساس للإعجاز:

إن أهم أساس في إعجاز القرآن المبين هو الإيجاز بعد بلاغته الفائقة، فالإيجاز أهم أساس لإعجاز القرآن وأقواه، فهذا الإيجاز المعجز في القرآن الكريم كثير ولطيف جداً في الوقت نفسه، بحيث ينبهر أمامه اهل العلم والتدقيق.

تعدد الشخصيات:

إن الإنسان قد يحمل شخصيات عدة، وتلك الشخصيات ذات أخلاق متمايزة متباينة، فمثلاً: إن الموظف الكبير له شخصية خاصة به أثناء إشغاله مهمته من موقعه الرفيع ومقام وظيفته، هذا المقام يتطلب وقاراً وأطواراً ليصون كرامة موقعه وعزة مقام المسؤولية، فإظهار التواضع لكل زائر، فيه تذلل وتهوين من شأن المقام. ولكن هذا الشخص نفسه يملك شخصية أخرى خاصة به في بيته وبين أهله، وذلك يتطلب منه أخلاقاً مباينة لما في الوظيفة، بحيث كلما

تواضع أكثر كان أفضل وأجمل، في الوقت الذي إذا أبدى شيئاً من الوقار يعدّ ذلك تكبراً منه.

القومية السلبية:

القومية نفسها على قسمين:

قسم منها سلبي مشؤوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر. وهذا يولد المخاصمة والنزاع. إن التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله ـ بسبب من الفكر القومي ـ هلاك عظيم، وخطب جسيم، إذ إن تلك العناصر أحوج ما يكون بعضهم لبعض، لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف ولشدة الفقر الذي نزل بهم ولسيطرة الأجانب عليهم، كل ذلك يسحقهم سحقاً؛ لذا فإن نظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف، بل إنه جنون أشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين المارة التي تحوم حوله.

القومية الإيجابية:

القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية. هذا الفكر الإيجابي القومي،

ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسوراً منيعاً حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلاً عنه، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة. وأنها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ. ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلّا ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية، وبخلافه، أي إقامة القومية بديلاً عن الإسلام جناية خرقاء أشبه ما يكون بوضع أحجار القلعة في خزينة ألماس فيها وطرح الألماسات خارج القلعة.

تمايز الأقوام:

إن كل قوم يلائمه لباس على قدّه وقامته، وحتى لو كان نوع القماش واحداً فإنه يلزم الاختلاف في الطراز، إذ لا يمكن إلباس المرأة ملابس الشرطي، ولا يمكن إلباس العالم الديني ملابس الخليعات. فالتقليد الأعمى يؤدي في كثير من الأحيان إلى حالة من الهزء والسخرية.

قياس خطأ:

إن قياس الإسلام بالنصرانية، قياس مع الفارق، وهو قياس خطأ محض. لأن أوروبا عندما كانت متمسكة بل متعصبة لدينها، لم تكن متحضرة، وعندما تركت التعصب والالتزام بدينها تحضرت.

أوروبا والدين:

أثار التعصب الديني لدى أوروبا نزاعات داخلية دامت ثلاثمائة سنة، وكان الحكام المستبدون يتخذون الدين وسيلة في سحق العوام وفقراء الناس وأهل الفكر والعلم منهم، حتى تولد لدى عامة الناس نوع من السخط على الدين.

القرآن وأوجه التفسير:

إن جمل القرآن الحكيم لا تنحصر في معنىً واحد، بل هي في حكم كلي يتضمن معاني لكل طبقة من طبقات البشرية، وذلك لكون القرآن الكريم خطاباً لعموم طبقات البشر. لذا فالمعاني المبينة هي في حكم جزئيات لتلك القاعدة الكلية، فيذكر كل مفسّر، وكل عارف بالله جزءاً من ذلك المعنى الكلي ويستند في تفسيره هذا إما إلى كشفياته أو إلى دليله أو إلى مشربه، فيرجّح معنىً من المعاني.

عوالم الوجود:

إن في السماوات ألوفاً من العوالم، ويمكن أن يكون كل نجم في مجموعته، عالماً بذاته، وإن في الأرض أيضاً كل جنس من المخلوقات كذلك عالم بذاته، حتى إن كل إنسان عالم صغير، فكلمة (رب العالمين) تعني: أن كل عالم يدار ويربىّ ويدبّر شؤونه بربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مباشرة.

شقي وسعيد:

إن من يعجب بنفسه ويعتدّ بها شقي، بينما الذي يرى عيب نفسه محظوظ سعيد.

معرفة الله:

إن معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب.

الإيمان ولطائف الإنسان:

إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لـها حظها من الإيمان فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم فإن كل لطيفة من لطائف الـجسم ـ كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالـها ـ تأخذ منها وتمصها حسب درجاتها. فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منهـا.

طمع الإنسان:

لو أعطي الإنسان الدنيا برمتها، لطلب المزيد بحرصه، وإنه يرضى بإلحاق الضرر بالوف من الناس في سبيل منفعة ذاتية.!

الإنسان الجهول:

إن الإنسان ـ بخلاف الحيوان ـ جاهل كل ما يخص الحياة ويلزمها ومضطر إلى تعلم كل شيء، فهو (جهول) بالصيغة المبالغة لأنه محتاج إلى ما لا يحدّ من الأشياء. أما الحيوان؛ فعندما يفتح عيونه إلى الحياة، فإنه لا يحتاج إلّا إلى أشياء قليلة، فضلاً عن أنه يتعلم شروط حياته في شهر أو شهرين أو في يوم أو يومين بل ربما في ساعة أو ساعتين، وكأنه قد اكتمل في عالم آخر ثم أتى إلى هنا، بينما الإنسان لا يتمكن من أن يقف منتصباً معتمداً على نفسه إلّا بعد سنة أو سنتين، ولا يعرف نفعه من ضره إلّا بعد خمس عشرة سنة. فالمبالغة في (جهولاً) تشير إلى هذا أيضاً.

تجدد الإنسان والإيمان:

إن الإنسان لكونه يتجدد بشخصه وبعالمه الذي يحيط به فهو بحاجة إلى تجديد إيمانه دائماً، لأن الإنسان الفرد ما هو إلّا أفراد عديدة، فهو فرد بعدد سني عمره، بل بعدد أيامه، بل بعدد ساعاته حيث إن كل فرد يعد شخصاً آخر، ذلك لأن الفرد الواحد عندما يجري عليه الزمن يصبح بحكم النموذج، يلبس كل يوم شكل فرد جديد آخر.

تجدد العالم:

إن الإنسان مثلما يتعدد ويتجدد (...) فإن العالم الذي يسكنه سيار أيضاً لا يبقى على حال. فهو يمضي ويأتي غيره مكانه، فهو في تنوع دائم، فكل يوم يفتح باب عالم جديد. فالإيمان نور لحياة كل فرد من أفراد ذلك الشخص من جهة كما أنه ضياء للعوالم التي يدخلها. وما «لا إله إلّا الله» إلا مفتاح يفتح ذلك النور.

دواعي تجديد الإيمان:

إن الإنسان تتحكم فيه النفس والهوى والوهم والشيطان وتستغل غفلته وتحتال عليه لتضيق الخناق على إيمانه، حتى تسد عليه منافذ النور الإيماني بنثر الشبهات والأوهام. فضلاً عن أنه لا يخلو عالم الإنسان من كلمات وأعمال منافية لظاهر الشريعة، بل تعد لدى قسم من الأئمة في درجة الكفر. لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت، بل في كل ساعة، في كل يوم.

الله خالق كل شيء:

إن كل شيء في العالم، يسند جميع الأشياء إلى خالقه.. وإن كل أثر في الدنيا يدل على أن جميع الآثار هي من مؤثره هو.. وإن كل فعل إيجادي في الكون يثبت أن جميع الأفعال الإيجادية إنما هي من أفعال فاعلها

هو.. وإن كل اسم من الأسماء الحسنى الذي يتجلى على الموجودات يشير إلى أن جميع الأسماء إنما هي لمسماه هو.. أي أن كل شيء هو برهان وحدانية واضح، ونافذة مطلة على المعرفة الإلهية.

أدلة على الخلق:

إنه ما من أثر، ولاسيما الكائن الحي، إلا هو مثال مصغر للكائنات، وبمثابة نواة للعالم، وثمرة للكرة الأرضية. لذا فخالق ذلك المثال المصغر والنواة والثمرة لا بد أن يكون هو أيضاً خالق الكائنات برمتها، ذلك لأنه لا يمكن أن يكون موجد الثمرة غير موجد شجرتها.

تكامل تجليات الأسماء الحسنى:

إن اسم «المحيي» عندما يتجلى لشيء وحالما يمنح شيئاً الحياة يتجلى اسم «ٱلْحَكِيمُ» أيضاً فينظم جسد ذلك الكائن الحي الذي هو مأوى روحه، وفي الوقت نفسه يتجلى اسم «ٱلْكَرِيمِ» فيزين ذلك العش والمأوى، وآنئذ يتجلى اسم «ٱلرَّحِيمِ» أيضاً فيهيئ حاجات ذلك الجسد، وفي الوقت نفسه يتجلى اسم «ٱلرَّزَّاقُ» فيمنح ما يلزم ذلك الحي من أرزاق مادية ومعنوية ومن حيث لا يحتسب، وهكذا.

براهين الوحدانية:

إن كل اسم، وكل فعل، وكل أثر، برهان وحدانية، وختم توحيد، وخاتم أحدية بحيث يدل على أن الكلمات التي هي الموجودات المسطورة في صحائف الكون وفي سطور العصور إنما هي كتابة قلم نقاشه ومصوره جل وعلا.

تلازم الشهادتين:

إن كلمتي الشهادة لا تنفك إحداهما عن الأخرى ولا تفترقان، بل تثبت إحداهما الأخرى وتتضمنها، فلا تكون إحداهما إلّا بالأخرى.

لا لترجمة القرآن والكلمات المباركة:

إن ألفاظ الكلمات القرآنية، والتسبيحات النبوية، ليس لباساً جامداً يقبل التبديل والتغيير وإنما مثله مثل الجلد الحي للجسد، بل إنها أصبحت فعلاً جلداً حياً بمرور الزمن، ولا جدال في أن تبديل الجلد وتغييره يضر الجسم. ثم إن تلك الكلمات المباركة في الصلاة، والذكر، والأذان، أصبحت اسماً و عَلَماً لمعانيها العرفية والشرعية ولا يمكن تبديل الاسم والعلَم.

العربية هي لغة الإسلام:

إن التعبير بأي لغة كانت غير اللغة العربية، عن حقائق الأذان وتسبيحات الصلاة، وسورة الإخلاص والفاتحة التي تتكرر دائماً،

ضار جداً. ذلك لأن اللطائف الدائمة تبقى محرومة من نصيبها الدائم بعدما ان تفقد المنابع الحقيقية الدائمية التي هي الألفاظ الإلهية والنبوية. فضلاً عن أنه يضيع في الأقل عشر حسنات لكل حرف. ولعدم دوام الطمأنينة والحضور القلبي لكل واحد في الصلاة، تبعث التعابير البشرية المترجمة عند الغفلة ظلمتها في الروح.. وأمثالها من الأضرار الأخرى.

لا تغني عن العربية أي لغة:

إنه لا يمكن أن يقوم مقام الألفاظ القرآنية التي هي محافظ ومنابع للضروريات الدينية أي لفظ آخر، ولا يمكن لأي لفظ آخر أن يحل محلها قطعاً، ولا أن يؤدي الغرض منها لقدسيتها، وسموها، ودوامها، وإن أدى مؤقتاً جزءاً ضئيلاً منها.

* * *

المكتوب الثامن والعشرون

علاقة مع الغيب:

إن اللطيفة الربانية الموجودة في ماهية الإنسان تجد علاقة لها مع عالم الغيب، وتفتح منفذاً إليه بعد انقطاع الحواس والمشاعر المربوطة بعالم الشهادة والمتجولة فيه، وبعد توقفها عن العمل. فتنظر اللطيفة الربانية بذلك المنفذ إلى حوادث تتهيأ للوقوع، وقد تلاقي أحد جلوات اللوح المحفوظ أو أنموذجاً من نماذج كتابات القَدر، فترى بعض الوقائع الحقيقية، ولكن الخيال يتصرف أحياناً في تلك الوقائع ويلبسها ملابس الصور.

الناس والرؤيا:

إن النوم من حيث الرؤيا الصادقة في حكم مرتبة من مراتب الولاية لدى العوام، كذلك فهي للناس عامة متنزه جميل رائع لرؤية مشاهد حوادث ربانية ـ كمشاهد السينما ـ ولكن مَن كان ذا خلق حسن فإنه يفكر تفكيراً حسناً فيرى ألواحاً جميلة ومناظر حسنة، بعكس السيء الخلق الذي لا يتصور إلّا السيئات لذا لا يرى إلّا المناظر السيئة والقبيحة.

حقيقة النوم:

النوم نافذة تطل على عالم الغيب من عالم الشهادة، وهو ميدان طليق للناس المقيدين الفانين. وينال نوعاً من البقاء حتى يكون الماضي والمستقبل في حكم الحاضر. وهو موضع راحة لذوي الأرواح الذين ينسحقون تحت المشاق وتكاليف الحياة المرهقة، ولأجل هذه الأسرار وأمثالها يرشد القرآن الكريم إلى حقيقة النوم في آيات عديدة، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩].

متشابهات في الآيات والأحاديث:

كما أن في القرآن الكريم آيات متشابهات، ففي الحديث الشريف أيضاً متشابهات، لا يدرك معانيها الدقيقة إلّا خواص العلماء.

وظائف الملائكة العظام:

إن الملائكة العظام من أمثال سيدنا جبرائيل وميكائيل وعزرائيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كل منهم بمثابة ناظر عام ورئيس، لهم أعوان من نوعهم وممن يشبهونهم، ولكن بطراز أصغر، فهؤلاء المعاونون الصغار مختلفون حسب اختلاف المخلوقات الموكلين بهم. فالذين يقبضون أرواح الصالحين يختلفون عن الذين يقبضون أرواح الطالحين، فهم طوائف مختلفة من الملائكة بمثل ما تشير إليه الآيات الكريمة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢].

الولاية الكبرى:

إن الصحابة الكرام والتابعين وتابعي التابعين ـ رضوان الله عليهم ـ ممن لهم أرفع المراتب، وحظوا بالولاية الكبرى، قد تلقت جميع لطائفهم حظها من القرآن مباشرة، فأصبح القرآن لهم مرشداً حقيقياً وكافياً، وهذا يعني ويدل على أن القرآن مثلما يعبر عن الحقائق في كل زمان فإنه يفيض بفيوضات الولاية الكبرى إلى من هو أهل لها في كل وقت.

الطريق إلى الحقيقة:

إن العبور من الظاهر إلى الحقيقة إنما يكون بصورتين:

الأولى: بالدخول إلى برزخ الطريقة وقطع المراتب فيها بالسير والسلوك حتى بلوغ الحقيقة.

الصورة الثانية: العبور إلى الحقيقة مباشرة برحمة إلهية محضة، دون الدخول في برزخ الطريقة، هذا الطريق خاص ورفيع وسام وقصير جداً، وهو طريق الصحابة الكرام والتابعين رضوان الله عليهم. فإذن الأنوار المترشحة من حقائق القرآن والكلمات التي تترجم تلك الأنوار يمكن أن تكون مالكة لتلك الـخاصية، بل هي مالكة لـها فعلاً.

منزلة الشكر:

إن أجلّ عملٍ يطلُبُه الخالُق الرحيم من عباده هو: الشُكر. فيدعو الناس إلى الشكر دعوة صريحة واضحة ويوليه أهمية خاصة بإظهاره أن الاستغناء عن الشكر تكذيب للنعم الإلهية وكفران بها، ويهدّد إحدى وثلاثين مرة في سورة «الرحمن» بالآية الكريمة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تهديداً مُرعباً، ويُنذر الجن والإنس إنذاراً مهولاً ببيانه: أن عدم الشكر والإعراض عنه تكذيبٌ وإنكار وجحود.

أهم ثمرة وأرقى سلعة:

إن هيأة الكون ومحتوياته قد صُممت بشكل ووُضعت على نمط، بحيث تنتج الشكر وتُفضي إليه، فكل شيء متطلّع ومتوجّه ـ من جهة ـ إلى الشكر، حتى كأن أهم ثمرة في شجرة الخلق هذه هي الشكر، بل كأن أرقى سلعة من بين السلع التي ينتجها مصنع الكون هذا هي الشكر.

منزلة الحياة في الموجودات:

إن موجودات العالم قد صُممت بطراز يشبه دائرة عظيمة، وخُلقت الحياة لتمثل نقطة المركز فيها، فنرى: أن جميع الموجودات تخدم الحياة وترعاها وتتوجه إليها، وتتكفل بتوفير لوازمها ومؤنها. فخالق الكون إذن يختار الحياة ويصطفيها من بين موجوداته.

الإنسان بين الشكر والشرك:

إنه مثلما يحيط كل شيء بالرزق ويستشرفه ويتطلع إليه، فالرزق نفسه أيضاً ـ بأنواعه جميعاً ـ قائم بالشكر معنىً ومادةً وحالاً ومقالاً، ويحصل بالشكر، وينتج الشكر، ويبيّن الشكر ويُريه؛ لأن اشتهاء الرزق والاشتياق إليه نوعٌ من شكر فطري. أما الالتذاذ والتذوق فهما شكرٌ أيضاً، ولكن بصورة غير شعورية ـ حيث تتمتع الحيوانات كافة بهذا الشكر ـ بيد أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يغيّر ماهية ذلك الشكر الفطري بانسياقه إلى الضلالة والكفر، فيتردى من الشكر إلى الشرك.

دعاة الشكر وأدلاؤه:

إن ما تحمله النعم ـ التي هي الرزق بعينه ـ من صورٍ جميلة زاهية بديعة، ومن روائح زكية طيبة شذية، ومن طعوم لذيذة ومذاقات طيبة، ما هو إلّا دعاة وأدلّاء إلى الشكر. فهؤلاء الأدلاء والدعاة المنادون يثيرون بدعواهم الشوق لدى الأحياء، ويحضّونهم عليه، ويدفعونهم ـ بهذا الشوق ـ إلى نوع من الاستحسان والتقدير والاحترام فيقروّن فيهم شكراً معنوياً. ويلفتون أنظار ذوي الشعور إلى التأمل والإمعان فيها فيرغّبونهم في الاستحسان والإعجاب، ويحثونهم إلى احترام

النعم السابغة وتقديرها. فتُرشدهم تلك النِعم إلى طريق الشكر القولي والفعلي وتدلّهم عليه وتجعلهم من الشاكرين، وتذيقهم من خلال الشكر أطيبَ طَعمٍ وألذهُ وأَزكى ذوق وأنفسه، وذلك بما تُظهر لهم بأن هذا الرزق اللذيذ أو النعمة الطيبة، مع لذته الظاهرة القصيرة المؤقتة يهب لك بالشكر التفكر في الالتفات الرحماني الذي يحمل لذة وذوقاً حقيقيين ودائمين وغير متناهيين.

مقياس الشكر:

إن مقياس الشكر هو القناعة، والاقتصاد، والرضا، والامتنان. أما مقيـاس عدم الشكر والاستغنـاء عنه فهو الحرص، والإسراف، وعدم التقدير والاحترام، وتناول كل ما هب ودّب دون تمييز بين الحلال والحرام.

بين النمل والنحل!

إن الحرص مثلما أنه عزوف وإعراض عن الشكر، فهو أيضاً قائد الحرمان ووسيلة الذل والامتهان، حتى كأن النملة ـ تلك الحشرة المباركة المالكة لحياة اجتماعية ـ تُداس تحت الأقدام وتنسحق، لشدة حرصها وضعف قناعتها، إذ بينما تكفيها بضع حبات من الحنطة في السنة الواحدة تراها تجمع ألوف الحبات إذا ما قدّر لها، أما النحلة

الطيبة، فتجعلها قناعتها التامّة أن تطير عالياً فوق الرؤوس، حتى إنها تقنع برزقها وتقدّم العسل الخالص للإنسان إحساناً منها بأمر الإله العظيم جل جلاله.

فهرس الشكر:

إن للشكر أنواعاً مختلفة، إلّا أن أجمع تلك الأنواع وأشملها والتي هي فهرسها العام هو: الصلاة.!

من تجليات اسم الرحمن:

إن اسم «ٱلرَّحۡمَٰنِ» الذي هو من أعظم أسمائه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يعقبُ لفظ الجلالة «الله» الذي هو الاسم الأعظم والاسم العَلَمُ للذات الأقدس. فهذا الاسم «ٱلرَّحۡمَٰنِ» يشمل برعايته الرزق؛ لذا يمكن الوصول إلى أنوار هذا الاسم العظيم بالشكر الكامن في طوايا الرزق. علماً أن أبرز معاني «ٱلرَّحۡمَٰنِ» هو الرزاق.

في الشكر إيمان صاف:

في الشكر إيمان صافٍ رائق، وهو يحوى توحيداً خالصاً؛ لأن الذي يأكل تفاحة ـ مثلاً ـ «بِسۡمِ ٱللَّهِ» ويختم أكلها بـ«ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ» إنما يعلن بذلك الشكرَ، على أن تلك التفاحة تذكار خالص صادر مباشرةً من يد القدرة الإلهية، وهي هدية مهداة مباشرة من خزينة الرحمة

الإلهية. فهو بهذا القول وبالاعتقاد به يسلّم كلَّ شيء ـ جزئياً كان أم كلياً ـ إلى يد القدرة الإلهية، ويُدرك تجلّى الرحمة الإلهية في كل شيء، ومن ثم يُظهر إيماناً حقيقياً بالشكر، ويبيّن توحيداً خالصاً به.

تخليد النعم:

إذا تناول الإنسان نعمةً لذيذة، ثم أدى شكره عليها، فإن تلك النعمة تصبح ـ بوساطة ذلك الشكر ـ نوراً وضّاءً له، وتغدو ثمرة من ثمار الجنة الأُخروية، وفضلاً عما تمنحه من لذة، فإن التفكر في أنها أثرٌ من آثار التفات رحمة الله الواسعة وتكرمة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يمنح تلك النعمة لذةً عظيمة دائمة وذوقاً سامياً لا حدّ له. فيكون الشاكر قد بعث أمثال هذه اللّباب الخالصة والخلاصات الصافية والمواد المعنوية إلى تلك المقامات السامية الرفيعة، تاركاً موادَّها المهملة وقشرتَها ـ التي استنفدت أغراضها وأدّت وظيفتها ولم تعد إليها حاجة ـ يتم تحولها إلى نفايات وفضلات تعود إلى أصلها من العناصر الأولية.

شتان بين الشكر والغفلة:

الأرزاق الزائلة تثمر بالشكر لذائذ دائمة وثمرات باقية، أما النعم الخالية من الشكر فإنها تنقلب من صورتها السامية الجميلة

الزاهية إلى صورة دنيئة قبيحة دميمة؛ ذلك لأن الغافل يظن أن مآل الرزق بعد اقتطاف اللذة المؤقتة منه هو الفضلات.!

الشكر معراج الترقي:

إن أشد الأحياء حاجةً إلى الرزق وإلى أنواعه هو الإنسان! فالحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد خلق هذا الإنسان مرآة جامعة لجميع أسمائه الحسنى، وأبدعه معجزةً دالّة على قدرته المطلقة. فهو يملك أجهزة يتمكن بها تثمين وتقدير جميع مدّخرات خزائن رحمته الواسعة ومعرفتها.. وخلقه على صورة خليفة الأرض الذي يملك من الأجهزة الحساسة ما يتمكن بها من قياس أدق دقائق تجليات الأسماء الحسنى.. فلأجل كل هذا فقد أودع سبحانه في هذا الإنسان فاقةً لا حدّ لها، وجعله محتاجاً إلى أنواع لا تحد من الرزق المادي والمعنوي. وما الوسيلة التي تمكّن الإنسانَ من العروج بها إلى أسمى مقام وهو مقام «أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» ضمن ما يملكه من الجامعية إلّا الشكر. فإذا انعدم الشكر يتردى الإنسان إلى أسفل سافلين ويكون مرتكباً ظلماً عظيماً.

بين التواضع والتفاخر:

قد يستلزم التواضع كفران النعمة، بل يكون كفراناً بالنعمة عينها، وقد يكون أيضاً التحدث بالنعمة تفاخراً وتباهياً. وكلاهما

مضران، والوسيلة الوحيدة للنجاة، أي لكي لا يؤدي الأمر إلى كفرانٍ بالنعمة ولا إلى تفاخر، هي: الإقرار بالمزايا والفضائل دون ادّعاء تملّكها، أي إظهارها أنها آثار إنعام المنعم الحقيقي جلّ وعلا.

كرامات:

كما أن للولاية كرامة، فإن للنية الخالصة كرامة أيضاً، وللإخلاص كرامة أيضاً، ولاسيما الترابط الوثيق والتساند المتين بين الإخوان ضمن دائرة أخوة خالصة لله، تكون له كرامات كثيرة، حتى إن الشخص المعنوي لمثل هذه الجماعة يمكن أن يكون في حكم ولي كامل يحظى بالعنايات الإلهية.

ضرب الأمثال في مواجهة الضلال:

إن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، إذ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل. أما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانه، فوهب لي الحكيم الرحيم ـ الذي يهب لكل صاحب داء دواءه المناسب ـ وأنعم عليّ سبحانه شعلةً من «ضرب الأمثال» التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمةً منه جل

وعلا لعجزي وضعفي وفقري واضطراري، لأُنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم. فله الحمد والمنة.

ميدان الحشر:

إن ميدان الحشر هو في مدار الأرض السنوي، وإن الأرض ترسل محاصيلها المعنوية من الآن إلى ألواح ذلك الميدان، وإنها بحركتها السنوية تمثل دائرة وجود، وتكون مبدأً لتشكل ميدان الحشر، بمحاصيل تلك الدائرة الوجودية. وإن الكرة الأرضية؛ التي هي كسفينة ربانية ستفرغ ما في مركزها من جهنم صغرى إلى جهنم كبرى، كما ستفرغ سكنتها إلى ميدان الحشر.

* * *

المكتوب التاسع والعشرون

كنز للعصور كلها:

إن القرآن الكريم كنز عظيم لا ينفد، وإن كل عصر يأخذ حظه من حقائقه الخفية التي هي من قبيل التتمـات، مع التسليم بنصوص القرآن ومحكمـاته من دون أن يتعرض أو يمس ما خفي من الحقائق من حظ أهل العصور الأخرى.

الزمان مفسر:

إن حقائق القرآن تتوضح أكثر كلما مضى الزمان.

من أسرار الحروف المقطعة:

إن الحروف المقطّعة الموجودة في أوائل السور، شفرات إلهية، يعطي بها سبحانه بعض الإشارات الغيبية إلى عبده الخاص، ومفتاح تلك الشفرة، لدى ذلك العبد الخاص، ولدى ورثته. ولما كان القرآن الحكيم يخاطب جميع الطوائف البشرية في كل وقت وحين فهو يتضمن من المعاني المتنوعة والوجوه الكثيرة الجامعة ما يكون حظ كل طائفة في كل عصر من العصور. وإن أصفى المعاني والوجوه هي تلك التي بينها السلف الصالح بياناً واضحاً. وقد وجد الأولياء والمحققون إشارات معاملات غيبية في تلك المقطعات فيما يخص السير والسلوك الروحاني.

من تجليات القيومية:

إن صانع العالم وباني الكون مثلما يمكّن الشمس والقمر في مواقعهما، يمكّن الذرات أيضاً في مواضعها في بؤبؤ عين الأحياء مثلاً، فيمكّن كلاً منها في موضعها بالآلة نفسها، في اللحظة نفسها.. وإنه مثلما ينظم السّماوات طباقاً ويفتحها أبواباً وينسقها تنسيقاً، ينظّم طبقات العين ويفتح أغطيتها بالميزان بالأداة نفسها والآلة المعنوية نفسها، في اللحظة نفسها.. وإنه مثلما يسمّر النجوم في السماوات، ينقّش ما لا يحد من نقاط العلامات الفارقة في وجه الإنسان ويشق فيه الحواس الظاهرة والباطنة، بآلة القدرة المعنوية نفسها.

القرآن الكريم لا يترجم:

إن كلمات القرآن التي جاءت بتلك اللغة العربية الفصحى الجامعة الخارقة، وفي صورة معجزة، وصادرة من علم محيط بكل شيء يدير الجهات كلها كيف توفي حقها كلمات ألسنة أخرى تركيبية وتصريفية في ترجمة مَن هو جزئي الذهن قاصر الشعور مشوش الفكر، مظلم القلب؟ أم كيف تملأ كلمات ترجمة محل تلك الكلمات المقدسة؟ حتى أستطيع القول، وأثبت أيضاً: أن كل حرف من حروف القرآن

الكريم بمثابة خزينة من خزائن الحقائق، بل قد يحوي حرف واحد فقط من الحقائق ما يملأ صحيفة كاملة.

القرآن معجز كله:

إن كل آية من آيات القرآن الكريم في قمة البلاغة ومنتهى الجزالة، وفي غاية الإعجاز الذي يشع نوره الساطع، حيث إن الآية تكسب علوّها وسموّها وقوتها لصدورها من ذلك المقام السامي الرفيع الذي لا نهاية لعظمته، ولا غاية لسعته ولا منتهى لسموه، من ذي الجلال والعظمة المطلقة، من المتكلم الأزلي جل جلاله.. ومن مبلّغها الذي هو في مقام المحبوبية العظمى صاحب المنزلة الرفيعة والدرجة العالية. ومن توجهها إلى المخاطبين الذين هم في منتهى الكثرة والأهمية والتباين. لذا، تحقق عندي؛ أنه ليس القرآن كله معجزة، بل كل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة.

صراط الذين أنعمت عليهم:

وأنا أتلو: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، نظرت إلى قوافل البشرية الراحلة إلى الماضي، فرأيت أن ركب الأنبياء المكرمين والصديقين والشهداء والأولياء

والصالحين أنور تلك القوافل وأسطعها، حتى إن نوره يبدد ظلمات المستقبل؛ إذ إنهم ماضون في جادة مستقيمة كبرى تمتد إلى الأبد.. وإن هذه الجملة تبصّرني طريق اللحاق بذلك الركب الميمون، بل تلحقني به.. فقلت: يا سبحان الله، ما أفدح خسارة، وما أعظم هلاكَ مَن ترك الالتحاق بهذه القافلة النورانية العظمى، والتي مضت بسلام وأمان وأزالت حجب الظلمات، ونورت المستقبل.. إن من يملك ذرة من شعور لا بد أن يدرك هذا.

نوعان من الحقوق:

إن في الشريعة الإسلامية نوعين من الحقوق: «حقوق شخصية» و«حقوق عامة» والتي هي من نوع «حقوق الله». وإن من المسائل الشرعية ما يتعلق بالأشخاص ومنها ما يتعلق بالناس عامة، أي يتعلق بهم من حيث العموم، فيطلق على هذا القسم اسم «الشعائر الإسلامية» فالناس كلهم لهم حصة من هذا القسم، حيث يتعلق بالعموم، وإن أي تدخل في هذا القسم من الشعائر وأي مسّ بها، يعتبر تعدياً لحقوق أولئك الناس عامة، إن لم يكونوا راضين عنه. وإن أصغر مسألة من تلك الشعائر (ولتكن من قبيل السنة) على جانب عظيم من الأهمية، كأية مسألة جليلة، لأنها تتعلق مباشرة بالعالم الإسلامي كافة.

جهنم والجنة ضرورتان:

إن جهنم ليست زائدة عن الحاجة، فإن كثيراً من الأمور تدعو بكل قوة: لتعش جهنم. وكذا الجنة ليست رخيصة بل تطلب ثمناً غالياً ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠].

من حكم الصوم:

إن أكثر الحكم المتمخضة عن صوم رمضان تتوجّه إلى إظهار ربوبية الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما تتوجّه إلى حياة الإنسان الاجتماعية وإلى حياته الشخصية، وتتوجه أيضاً إلى تربية النفس وتزكيتها، وإلى القيام بالشكر تجاه النِعَم الإلهية.

الصوم يكشف الغفلة:

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد خلق وجهَ الأرض مائدةً ممتدة عامرة بالنِعم التي لا يحصرها العد، وأعدها إعداداً بديعاً من حيث لا يحتسبه الإنسان. فهو سبحانه يبيّن بهذا الوضع، كمالَ ربوبيته ورحمانيته ورحيميته. بيد أن الإنسان لا يبصر تماماً ـ تحت حجاب الغفلة وضمن ستائر الأسباب ـ الحقيقة الباهرةَ التي يفيدها ويعبّر عنها هذا الوضع، وقد ينساها.. أما في رمضان المبارك فالمؤمنون يصبحون فوراً في حكم

جيش منظّم، يتقلدون جميعاً وشاح العبودية لله، ويكونون في وضعٍ متأهب قُبيل الإفطار لتلبية أمر القادر الأزلي: «تفضّلوا» إلى مائدة ضيافته الكريمة.. فيقابلون ـ بوضعهم هذا ـ تلك الرحمة الجليلة الكلّية بعبودية واسعة منظمة عظيمة..

الصوم وإدراك قيمة النعم:

إن أغلب الناس لا يدركون قيمة نِعَمٍ كثيرة ـ غير مضطرين إليها في سائر الأوقات ـ لعدم تعرّضهم لقساوة الجوع الحقيقي وأوضاره. فلا يُدرِك ـ مثلاً ـ درجةَ النعمة الكامنة في كسرة خبز يابس أولئك المتخمون بالشبع، وبخاصة إن كانوا أثرياء منعّمين، بينما يدركها المؤمن عند الإفطار أنها نعمة إلهية ثمينة، وتشهد على ذلك قوته الذائقة، لذا ينال الصائمون في رمضان ـ ابتداء من السلطان وانتهاء بأفقر فقير ـ شكراً معنوياً لله تعالى منبعثاً من إدراكهم قيمةَ تلك النعم العظيمة.

الصوم وإدراك حال الفقراء:

إن الناس قد خُلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة، وعليه يدعو الله سبحانه الأغنياءَ لمدّ يد المعاونة لإخوانهم الفقراء. ولا جرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعوراً كاملاً حالات الفقر الباعثة

على الرأفة، ولا يمكنهم أن يحسوا إحساساً تاماً بجوعهم، إلا من خلال الجوع المتولد من الصوم.. فلولا الصوم لما تمكن كثير من الأغنياء التابعين لأهوائهم أن يدركوا مدى ألم الجوع والفقر ومدى حاجة الفقراء إلى الرأفة والرحمة.

الصوم وحقيقة العبودية:

تبدأ نفسُ كل شخص بالتفطن في ذاتها في رمضان المبارك، ابتداء من أغنى غني إلى أفقر فقير، فتدرك بأنها ليست مالكة، بل هي مملوكة، وليست حرة طليقة، بل هي عبدة مأمورة، فلا تستطيع أن تمدّ يدَها إلى أدنى عمل من غير أمر، بل حتى لا تستطيع أن تمدها إلى ماء.. وبهذا ينكسر غرور ربوبيتها الموهومة، فتتقلد ربقة العبودية لله تعالى، وتدخل ضمن وظيفتها الأساس وهي «الشكر».

الصوم يكشف حقيقة الإنسان:

صوم رمضان يُشعر أشد الناس غفلة وأعتاهم تمرداً بضعفهم وعجزهم وفقرهم، فبوساطة الجوع يفكر كلٌّ منهم في نفسه وفي معدته الخاوية ويدرك الحاجة التي في معدته فيتذكر مدى ضعفه، ومدى حاجته إلى الرحمة الإلهية ورأفتها، فيشعر في أعماقه توقاً إلى طرق بابِ المغفرة الربانية بعجز كامل وفقر ظاهر متخلياً عن فرعنة النفس متهيئاً بذلك لطرقِ باب الرحمة الإلهية بيد الشكر المعنوي.

رمضان والقرآن:

لما كان القرآن الكريم قد نزل في شهر رمضان المبارك فلابد من التجرد عن الحاجيات الدنيئة للنفس، ونبذ سفساف الأمور وترهاتها استعداداً للقيام باستقبال ذلك الخطاب السماوي استقبالاً طيباً يليق به، وذلك باستحضار وقت نزوله في هذا الشهر والتشبه بحالات روحانية ملائكية؛ بترك الأكل والشرب، والقيام بتلاوة ذلك القرآن الكريم تلاوةً كأن الآيات تتنزل مجدداً، والإصغاء إليه بهذا الشعور بخشوع كامل، والاستماع إلى ما فيه من الخطاب الإلهي للسمو إلى نيل مقام رفيع وحالة روحية سامية، كأن القارئ يسمعه من الرسول الأكرم ﷺ، بل شد السمع إليه كأنه يسمعه من جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل من المتكلم الأزلي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم القيام بتبليغ القرآن الكريم وتلاوته للآخرين تبياناً لحكمة من حكم نزوله.

رمضان والمسجد العظيم:

إن العالم الإسلامي في رمضان المبارك يتحول إلى ما يشبه المسجد، ويا له من مسجد عظيم تعج كل زاوية من زواياه، بل كل ركن من أركانه، بملايين الحفَّاظ للقرآن الكريم. يرتلون ذلك الخطاب السماوي على مسامع الأرضيين، ويظهرون بصورة رائعة براقة مصداق الآية

الكريمة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] مثبتين بذلك أن شهر رمضان هو حقاً شهر القرآن.

رمضان والثواب المضاعف:

إن ثواب الأعمال في رمضان المبارك يضاعَف الواحدُ إلى الألف. ومن المعلوم أن كل حرف من القرآن الحكيم له عشرة أثوبة، ويعدّ عشر حسنات، ويجلب عشر ثمار من ثمرات الجنة ـ كما جاء في الحديث الشريف ـ ففي رمضان يولّد كل حرف ألفاً من تلك الثمرات الأخروية بدلاً من عشرٍ منها، وكل حرف من حروف آيات ـ كآية الكرسي ـ يفتح الباب أمام الألوف من تلك الحسنات لتتدلى في الآخرة ثماراً حقيقية. وتزداد تلك الحسنات باطراد أيام الجُمع في رمضان، وتبلغ الثلاثين ألفاً من الحسنات ليلة القدر.

معرض التجارة الأخروية:

إن شهر رمضان المبارك أشبه ما يكون بمعرض رائع للتجارة الأُخروية أو هو سوق في غاية الحركة و الربح لتلك التجارة وهو كالأرض المنبتة في غاية الخصوبة والغَناء لإنتاج المحاصيل الأخروية.. وهو كالغيث النازل في نيسان لإنماء الأعمال وبركاتها.. وهو بمثابة مهرجان عظيم وعيد بهيج مقدّس لعرض مراسيم العبودية البشرية تجاه عظمة الربوبية وعزة الألوهية.

رمضان والعمر المضاعف:

إن رمضان المبارك يكسب الصائم في هذه الدنيا الفانية وفي هذا العمر الزائل وفي هذه الحياة القصيرة عمراً باقياً وحياة سرمدية مديدة، ويتضمن كلها. فيمكن لشهر رمضان واحد فقط أن يمنح الصائم ثمرات عمر يناهز الثمانين سنة. وكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر ـ بنص القرآن الكريم ـ حجة قاطعة لهذا السر.

من ثمرات الصيام:

أما في رمضان المبارك فإن النفس تعتاد على نوع من الحِمية بوساطة الصوم وتسعى بجد في سبيل التزكية والترويض وتتعلم طاعة الأوامر، فلا تصاب بأمراض ناشئة من امتلاء المعدة المسكينة بإدخال الطعام على الطعام. وتكسب قابلية الإصغاء إلى الأوامر الواردة من العقل والشريعة. وتتحاشى الوقوع في الحرام بما أخذت من أمر التخلي عن الحلال. وتجدّ في عدم الإخلال بالحياة المعنوية وتكدير صفوها.

أنوار وترقيات رمضانية:

ترى المؤمنين في رمضان المبارك ينالون مختلف الأنوار والفيوضات والمسرات المعنوية ـ كلٌّ حسب درجته ومنزلته ـ فهناك ترقيات كثيرة

وفيوضات جمة للقلب والروح والعقل والسر وأمثالها من اللطائف الإنسانية في ذلك الشهر المبارك.

الصيام وفرعونية النفس:

إن النفس لا تريد أن تعرف ربها، بل تريد أن تدعي الربوبية بفرعونية طاغية. فمهما عُذبَت وقُهرت فإن عِرق تلك الربوبية الموهومة يظل باقياً فيها. فلا يتحطم ذلك العرق ولا يركع إلا أمام سلطان الجوع. وهكذا، فصيام رمضان المبارك ينزل ضربة قاضية مباشرة على الناحية الفرعونية للنفس. فيكسر شوكتها مُظهراً لها عجزها، وضعفها، وفقرها، ويعرّفها عبوديتها.

تنوع أوجه الإعجاز:

إن جمال جلوات الإعجاز يختلف باختلاف المشارب، إذ الإعجاز الذي يفهمه وليّ من العارفين يختلف عن الإعجاز الذي يشاهده ولي غارق في العشق الإلهي. وإن وجه الإعجاز الذي يشاهده إمام من أئمة أصول الدين غير الوجه الذي يشاهده مجتهد في فروع الشريعة.. وهكذا.

من دسائس الشياطين:

يحاول شياطين الإنس ـ بما استوحوه من شياطين الجن ـ أن يخدعوا خدام القرآن ويصرفوهم عن ذلك العمل المقدس

وذلك الجهاد المعنوي الرفيع، وذلك بتزيين حب الجاه والشهرة لـهم.

الإنسان وحب الجاه:

إن في الإنسان ـ بصورة عامة ـ وفي كل فرد من أفراد أهل الدنيا رغبة جزئية أو كلية في حب الجاه الذي هو الرياء بعينه، ونيل مواقع مرموقة في نظر الناس. حتى ينساق الإنسان بدافع من الحرص على الشهرة إلى التضحية بحياته إشباعاً لتلك الرغبة.

رضى الله وإقبال الناس:

إن رضى الله سبحانه، والإكرام الرحماني، والقبول الرباني، لمقام عظيم جداً، بحيث يبقى دونه إقبال الناس وإعجابهم بحكم ذرة بالنسبة إلى ذلك المقام الرفيع.

أثر الخوف:

إن الشعور بالخوف شعور عميق في كيان الإنسان، وإن الطغاة والظالمين الماكرين يستغلون كثيراً هذا الشعور لدى الإنسان فيلجمون به الجبناء، ويستفيد كثيراً جواسيس أهل الدنيا ودعاة الضلال من هذا الشعور لدى العوام ولاسيما لدى العلماء، فيُلقون في روعهم المخاوف ويثيرون فيهم الأوهام.

التخويف سلاح أهل الضلالة:

يثير أهل الضلالة عرق الخوف لدى الناس فيدفعونهم إلى التخلي عن أمور جسام من جراء مخاوف تافهة لا قيمة لها. حتى يدخل بعضهم في فم الثعبان لئلا تلسعه بعوضة.

الخوف البناء:

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد منحنا الشعور بالخوف لنحفظ به الحياة، لا لهدم الحياة وتخريبها، ولم يمنحنا هذا الشعور لنجعل الحياة أليمة ومعضلة ومرهقة.

المظلوم بين الضعف والقوة:

إن الظالم إذا ما سحق إنساناً تحت أقدامه، وبدأ المظلوم بتقبيل أقدامه، فإن قلبه ينسحق بسبب تلك المذلة قبل رأسه وتموت روحُه قبل جسده، فيفقد رأسه، وتمحى عزته وشرفه كذلك، إذ إنه بإبداء الضعف تجاه ذلك الظالم القاسي يشجعه على سحقه أكثر بينما لو بصق المظلوم في وجه ذلك الظالم فإنه ينقذ قلبه وروحه، ويصبح جسده شهيداً مظلوماً. نعم! ابصقوا في وجوه الظالمين الصفيقة!

لا فرار من الموت:

إن أكثر من يجرح ويصاب في الحرب هم الذين يهربون من خنادقهم ومن مواضعهم، وإن أقل الجنود إصابة هم أولئك الثابتون في مواضعهم فالآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] تشير بمعناها الإشاري إلى أن الفارين من الموت يقابلونه أكثر من غيرهم.

وسيلة الرزق الحلال:

إن حسن المعيشة التي يرفل بها الصغار ـ سواءً أكانوا أناساً أم حيوانات ـ والإحسان إليهم باللبن الخالص هدية لطيفة تقدم من خزينة الرحمة الإلهية من حيث لا يحتسبون؛ رحمةً لضعفهم وشفقة على عجزهم، وضيق العيش في الوحوش الضارية، يدل على أن وسيلة الرزق الحلال هي العجز والافتقار وليست الذكاء والاقتدار.

حرص اليهود وذلتهم:

إن اليهود الـمشهورين بأنهم أحرص الناس على الحياة الدنيا، يسبقون الأمم في سعيهم وراء الرزق، بينما هم أكثر الأمم ذلة ومهانة، وأكثرهم تعرضاً لسوء المعيشة، بل حتى أغنياؤهم يعيشون عيشاً ذليلا.

وسيلة جلب الرزق:

إن وسيلـة جلب الرزق ليست بالذكاء والاقتدار، بل بالعجز والافتقار وبالتسليم المتسم بالتوكل، وبالدعاء بلسان المقال والحال والفعل.

الحبة والسنبلة:

إن بذرة واحدة تحت التراب تنشئ بموتها حياة سنبلة وتتقلد مائة من الحبات الوظيفة بدلاً عن حبة واحدة.

أهل الحق و«الأنا»:

إن أهل الضلالة في هذا العصر قد امتطوا «أنا» فهو يجوب بهم في وديان الضلالة. فأهل الحق لا يستطيعون خدمة الحق إلّا بترك «أنا» وحتى لو كانوا على حق وصواب في استعمالهم «أنا» فعليهم تركه، لئلا يشبهوا أولئـك، إذ يكونون موضع ظنهم أنهم مثلهـم يعبدون النفس. لذا فإن عدم ترك «أنا» بخس للحق تجاه خدمة الحق.

الحسد يفسد العمل:

إذا لم يكن العمل خالصاً لله وحده، فإن الحسد يتدخل فيفسد العمل.

حفظ الكلمات المقدسة:

إن مَن يعدّ نفسه مسلماً، ويتعلم يومياً خمسين كلمة من الكلمات الأجنبية في سبيل مصلحة دنيوية؛ إن لم يتعلم في خمسين سنة ما يكررها كل يوم خمسين مرة من الكلمات المقدسة، أمثال (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر) ألا يتردى إلى أدنى من الحيوان بخمسين مرة؟ ألا إن هذه الكلمات المقدسة لا تحرّف، ولا تُترجم، ولا تهجر لأجل هؤلاء الأنعام.

الوسائط والعبودية الخالصة:

إن الإسلام دين التوحيد الخالص، يسقط الوسائط والأسباب عن التأثير ويهوّن من شأن أنانية الإنسان، مؤسساً العبودية الخالصة لله وحده. فيقطع دابر كل نوع من أنواع الربوبيات الباطلة، ويرفضها رفضاً باتاً بدءاً من ربوبية النفس الأمارة.

شهادة التاريخ:

إن التاريخ شاهد على أن المسلمين ما تمسكوا بدينهم إلّا وترقوا بالنسبة لذلك الزمان، وما أهملوا الدين إلّا تدنوا.

حقيقة الردة:

إن المسلم إذا انخلع عن الإسلام فلا يؤمن بعدُ بأيّ نبي آخر، بل لا يقرّ بوجوده تعالى، بل لا يعتقد بشيء مقدس أصلاً، ولا يجد في وجدانه موضعاً ليكون مبعث الفضائل. إذ يتفسخ وجدانه كلياً. ولأجل هذا فالمرتد عن الإسلام ليس له حق الحياة لتفسخ وجدانه ولأنه يكون كالسم القاتل للمجتمع.

الإسلام والعنصرية:

إن شجرة طوبى الإسلام قد ترسخت عروقها في صلب الكون وحقيقته، وبثت جذورها في ثنايا حقائق الكون كله، فهذه الشجرة العظيمة لا يمكن غرسها في تراب العنصرية الموهومة المؤقتة الجزئية الخصوصية السلبية، بل التي لا أساس لها أصلاً وهي المشحونة بالأغراض الظالمة المظلمة. وإن السعي لغرسها هناك محاولة بدعية هدامة رعناء..

مجددون عبر التاريخ:

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكمال رحمته، ودليل حمايته للشريعة الإسلامية واستمراريتها وخلودها، قد أرسل في كل فترة من فترات فساد الأمة مصلحاً، أو مجدداً، أو خليفة عظيماً، أو قطباً أعظم، أو مرشداً كاملاً من

الأشخاص العظام الأفذاذ ممن يشبهون المهدي، فأزال الفساد، وأصلح الأمة وحافظ على الدين. وما دامت سنة الله قد جرت هكذا، مما لا شك فيه أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سيبعث في أشد أوقات الفساد، في آخر الزمان، من هو أعظم مجتهد وأعظم مجدد، وأعظم قطب، ويكون في الوقت نفسه حاكماً ومهدياً ومرشداً، وسيكون من أهل البيت النبوي.

تقريب مسألة المهدي:

إن القدير الذي يملأ ما بين السماء والأرض بالسحب، ثم يفرغه في دقيقة واحدة لقادر على تهدئة عواصف البحر الجامحة في طرفة عين.. وإن القدير ذا الجلال الذي يوجد في ساعة من أيام الربيع نموذج فصل الصيف، ويوجد في ساعة من أيام الصيف زوبعة من زوابع الشتاء، لقادر على تبديد الظلمات المتراكمة في سماء العالم الإسلامي والمخاطر المحدقة به على يدي (المهدي)، وقد وَعدَنا بذلك، وهو منجزٌ وعده لا محالة.

منزلة آل البيت:

إنه ليس هناك نسل من أنسال البشرية وسلالاتها في تأريخ العالم اليوم، له من القوة والأهميـة، والذي امتـاز بأعلى مراتب الشرف

والحسب الرفيع والنسب العريق، واتصل بمنشئها بالشجرة والمسانيد والأعراف، مثل السادة الذين حظوا بالانتساب إلى الدوحة النبوية السامية: آل البيت. لقد كان هؤلاء السادة دوماً، منذ سالف العصور، رواد كل فرقة من فرق أهل الحقيقة، وزعماء أهل الكمال المشاهير أيضاً. واليوم هم النسل المبارك الطيب الذين يربون على الملايين، وهم المتيقظون ذوو القلوب العامرة والطافحة بالحب النبوي، حظواً بالانتساب إلى الدوحة الطاهرة الزكية.. وتتهيأ الحادثات العظام التي ستدفع إلى إيقاظ وإثارة هذه القوة المقدسة التي تنطوي عليها نفوس هذه الجماعة العظيمة.

ما الطريقة؟

إن غاية «الطريقة» وهدفها هو معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية، ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني في ظل المعراج الأحمدي وتحت رايته، بخطوات القلب وصولا إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود. فالطريقة والتصوف سر إنساني رفيع وكمال بشري سام.

قلب الإنسان ودماغه:

لـمّا كان الإنسان خلاصة جامعة لهذا الكون، فإن قلبه بمثابة خريطة معنوية لآلاف العوالم، إذ كما أن دماغ الإنسان ـ الشبيه بمجمع

مركزي للبث والاستقبال السلكي واللاسلكي ـ وهو بمثابة مركز معنوي لهذا الكون، يستقبل ما في الكون من علوم وفنون ويكشف عنها و يبثها أيضاً، فإن قلب الإنسان كذلك هو محور لما في الكون من حقائق لا تحد، ومظهر لها، بل هو نواتها.

الولاية والرسالة والطريقة والشريعة:

إن الولاية حجة الرسالة، وإن الطريقة برهان الشريعة، ذلك لأن ما بلغته الرسالة من الحقائق الإيمانية تراها «الولاية» بدرجة «عين اليقين» بشهود قلبي وتذوق روحاني فتصدّقها، وتصديقها هذا حجة قاطعة لأحقية الرسالة. وإن ما جاءت به «الشريعة» من حقائق الأحكام، فإن «الطريقة» برهان على أحقية تلك الأحكام، وعلى صدورها من الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما استفاضت منها واستفادت بكشفياتها وأذواقها.

عيوب في المناهج والمسالك:

يندر أن يوجد في الأشياء أو في المناهج أو المسالك ما هو مبرأ من النقص والقصور، وأن تكون جوانبه كلها حسنة صالحة، فلا بد إذاً من حدوث نقص وأخطاء وسوء تصرف، إذ ما دخل أمراً من ليسوا من أهله إلا أساؤوا إليه.

ميزان العدالة:

الله تعالى يظهر عدالته الربانية في الآخرة على وفق موازنة الأعمال وتقويمها، برجحان الحسنات أو السيئات، فمن رجحت حسناته وثقلت، فله الثواب الحسن وتقبل أعماله، ومن رجحت سيئاته وخفت حسناته فله العقاب وتُردّ أعماله، علما أنه لا تؤخذ «كمية» الأعمال بنظر الاعتبار في هذه الموازنة مثلما ينظر إلى «النوعية» فربّ حسنة واحدة ترجح ألف سيئة بل قد تذهبها وتمحوها وتكون سبباً في إنقاذ صاحبها.

دور تاريخي للطرق الصوفية:

قد كانت الطرق الصوفية وما زالت كذلك إحدى القلاع الثلاث التي تتحطم على جدرانها الصلدة هجمات النصارى بسياساتهم ومكايد الذين يسعون لإطفاء نور الإسلام.. فيجب ألّا ننسى فضل أهل الطرق في المحافظة على مركز الخلافة الإسلامية «إستانبول» طوال خمسمائة وخمسين سنة رغم هجمات عالم الكفر وصليبية أوروبا. فالقوة الإيمانية، والمحبة الروحانية، والأشواق المتفجرة من المعرفة الإلهية لأولئك الذين يرددون «الله.. الله..» في الزوايا والتكايا المتممة لرسالة الجوامع والمساجد، والرافدة لهما بجداول الإيمان حيث كانت تنبعث أنوار

التوحيد في خمسمائة مكان، لتشكّل بمجموعها أعظم نقطة ارتكاز للمؤمنين في ذلك المركز الإسلامي.

مخاطر في طريق الولاية:

إن سلوك طريق الولاية مع سهولته هو ذو مصاعب، ومع قصره فهو طويل جداً، ومع نفاسته وعلوه فهو محفوف بالمخاطر، ومع سعته فهو ضيق جداً. فلأجل هذه الأسرار الدقيقة، قد يغرق السالكون في هذه السبيل، وقد يتعثرون ويتأذون، بل قد ينكصون على أعقابهم ويضلون الآخرين.

الإلـهام:

إن كل إلهام ابتداء من إلهام النحل والحيوانات إلى إلهام عوام الناس وإلى إلهام خواص البشرية، وإلى إلهام عوام الملائكة، وإلى إلهام المقربين الخواص منهم، إنما هو نوع من الكلمات الربانية، ولكن الكلام الرباني تجلي الخطاب الرباني الـمتنوع المتلمع من خلال سبعين ألف حجاب حسب قابليات المظاهر والمقامات.

الماديون ووحدة الوجود:

الشخص المادي المتعلق بالأسباب، والمغرم بالدنيا، يتشوق إلى إضفاء صفة الـخلود على هذه الدنيا الفانية، لأنه يعز عليه أن يرى

محبوبته وهي تتبخر بين يديه وتذوب، فيسبغ صفة البقاء والوجود الدائم على دنياه، انطلاقاً من فكرة «وحدة الوجود» فلا يتورع ـ عندئذٍ ـ من رفع محبوبته ـ الدنيا ـ إلى درجة المعبود بعد أن أسبغ عليها صفات الدوام والخلود والبقاء الأبدي، فينفتح المجال أمامه إلى إنكار الله سبحانه والعياذ بالله.

اتباع السنة طريق الولاية:

إن اتباع السنة النبوية المطهرة هو أجمل وألمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق، بل أقومها وأغناها. والاتباع يعني: تحري المسلم السنة السنية وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله. فإن أعماله اليومية ومعاملاته العرفية وتصرفاته الفطرية الاعتيادية تأخذ بهذا الاتباع شكل العبادة، فضلا عن أن اتباع السنة وتحري شرع الله في شؤون المؤمن جميعها يجعله في صحوة دائمة، وتذكر للشرع مستمر، وتذكّر الشرع هذا يؤدي إلى ذكر صاحب الشرع الذي يؤدي إلى تذكر الله سبحانه، وذكر الله سبب لسكينة القلب واطمئنانه. أي أن ساعات العمر ودقائقه يمكن أن تنقضي كلها في عبادة دائمة مطمئنة؛ لذلك إن اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى، وهو طريق ورثة النبوة من الصحابة الكرام والسلف الصالح.

الإخلاص والولاية:

الإخلاص هو أهم أساس لجميع طرق الولاية وسبل الطريقة، ذلك لأن الإخلاص هو الطريق الوحيد للخلاص من الشرك الخفي. فمن لم يحمل إخلاصاً في ثنايا قلبه فلا يستطيع أن يتجول في تلك الطرق، كما أن «المحبة» تشكل أمضى قوة في تلك الطرق.

الدنيا وثمرات الأعمال الأخروية:

إن الدنيا هي دار العمل ودار الحكمة، وليست داراً للمكافأة والجزاء. فجزاء الأعمال والبر الذي يحصل هنا يكون في الحياة البرزخية والدار الآخرة، فتؤتي هناك أكلها وثمراتها. فما دامت الحقيقة هكذا يجب عدم المطالبة بثمرات الأعمال الأخروية وجزائها في هذه الدنيا، ولو أعطيت يجب أخذها وقبولها من يد الرب سبحانه بفرح مشوب بالحزن، وسرور ممزوج بالأسى.

فضل النعم الخفية:

إن أفضل نعمة إلهية يمكن أن ينالها شخص مقبول عند الله هي التي توهب له من دون أن يشعر بها، لكي لا يتحول من حال التضرع والدعاء إلى حال الإدلال بعباداته وطلب الأجر عليها، ولئلا يتحول من موقع الشكر والحمد إلى موقع الدلّ والفخر.

الولاية والثمرات العاجلة:

إن الذين يرغبون في سلوك طريق الولاية والطريقة إن كانوا يرغبون في تناول بعض الثمرات الجانبية للولاية، أمثال اللذات المعنوية أو الكرامات، ويتوجهون إليها ويطلبونها ويلتذون بها.. فإن هذا يعني رغبتهم في تناول تلك الثمرات في هذه الحياة الفانية، وهي ـ إذا حصلت لهم ثمرات فانية على أي حال كان. وبذلك يفقدون الإخلاص في أعمالهم الذي به ينالون ثمرة الولاية، كما أنهم يمهدون السبيل لفقدان الولاية نفسها.

الطريقة والشريعة:

إن أعلى مراتب الطريقة وأسمى درجات الحقيقة لا يعدوان كونهما أجزاء من كلية الشريعة. أما نتائجهما وما يؤولان إليه فهي الأوامر الشرعية المحكمة، فهما دائماً وأبداً يظلان بحكم الخادم للشريعة ووسيلة إليها ومقدمة لها.

الطريقة والسنة النبوية:

الآداب الشرعية التي هي ثمرة الوحي هي أسمى وأعلى من آداب الطريقة التي هي ثمرة الإلهام، لذا فإن أهم أساس للطريقة هو اتباع السنة النبوية المطهرة.

الطريقة والحقيقة وسيلة:

ينبغي ألا تتحول الطريقة والحقيقة من كونهما وسيلتين إلى غايتين بحد ذاتهما تستحوذان على قلب السالك وفكره ووجدانه. فإذا أصبحتا ـ الطريقة والحقيقة ـ مقصودتين بالذات، فإن الأعمال الشرعية المحكمة، وآداب السنة السنية، تنحسر حتى تأخذ الدرجة الثانية من الاهتمام لدى السالك، وتصبح صورية شكلية بانشغال القلب بالتوجه إلى آداب الطريقة ورسومها.

من مظاهر الخلل:

الذي تشغله أذواقه في التكية عن صلاته في الجامع، فيؤديها بخفة وسرعة صورية وشكلية لا حرارة فيها ولا روح، إنما يبتعد عن الحقيقة.

* * *

نوى الحقائق

أساس العبودية:

أساس العبودية وسرها هو التضرع والحمد والدعاء والخشوع والعجز والفقر والاستغناء عن الناس، وبهذا فقط يمكن الوصول إلى كمال تلك الحقيقة: حقيقة العبودية.

حقيقة الموجودات:

من يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات جميعها إلا تجليات أسمائه الحسنى جل جلاله.

من دلائل الربوبية:

إن الذي لا يملك قبضة قوية يستطيع بها حمل الأرض وجميع النجوم والشموس وتحريكها كحبات المسبحة، لا يستطيع ادعاء الخلق والإيجاد؛ إذ كلّ شيء مربوط بغيره.

من دلائل القدرة:

إن إحياء جميع ذوي الأرواح يوم الحشر لا يثقل على القدرة الإلهية كما لا يثقل عليها إحياء حشرة وإنشاؤها بعد سبات عميق طوال الشتاء

بما يشبه الموت؛ لأن القدرة الإلهية ذاتية، لا تتغير قطعاً، ولا يمكن أن يتخللها العجزُ، ولا تتداخل فيها العوائقُ، فليس فيها مراتب مطلقاً، وكل شيء بالنسبة إليها سواء.

إعجاز باهر:

إن الذي خلق عين البعوضة هو الذي خلق الشمس أيضاً، والذي نظّم معدة البرغوث هو الذي نظم المنظومة الشمسية أيضاً. إن في تأليف الكون إعجازاً باهراً، بحيث لو فرضنا ـ فرضاً محالاً ـ أن كل سبب من الأسباب الطبيعية فاعلٌ مختارٌ، مقتدرٌ، لسجَدَت تلك الأسبابُ جميعُها ـ بكمال العجز ـ أمام ذلك الإعجاز، قائلة: «سبحانك.. لا قدرة لنا.. إنك أنت العزيز الحكيم».

عالم الغيب وعالم الشهادة:

إن عالم الشهادة ستار مزركش ملقى على عوالم الغيب.

حقيقة الطبيعة:

الطبيعة مطبعة مثالية وليست طابعة، نقش لا نقّاش، قابلة للانفعال لا فاعلة، مِسطرَ لا مصدر، نظام لا نظّام، قانون لا قدرة، شريعة إرادية لا حقيقة خارجية.

الفطرة لا تكذب:

إن الفطرة لا تكذب، ففي البذرة ميلان للنمو، إذا قال: سأنبت، سأثمر، فهو صادق. وفي البيضة ميلان للحياة، إذا قال: سأكون فرخاً، فيكون بإذن الله، وهو صادق، وإذا قال ميلان التجمد في غرفة من ماء: سأحتل مكاناً أوسع فلا يستطيع الحديد ـ رغم صلابته ـ أن يكذبه. بل إن صدقَ قوله يفتت الحديد، فهذه الميول إنما هي تجليات الأوامر التكوينية الصادرة عن الإرادة الإلهية.

ضرورة النبوة:

إن القدرة الأزلية التي لا تترك النملة من دون أمير والنحلَ من دون يعسوب، لا تترك البشر من دون نبي أيضاً.

معجزة للإنسان وأخرى للملائكة:

إن انشقاق القمر كما هو معجزة أحمدية للإنسان في عالم الشهادة، فالمعراج أيضاً معجزة أحمدية كبرى للملائكة والروحانيات في عالم الملكوت. وقد أثبتت ولاية نبوته بهذه الكرامة الباهرة، فكانت شخصيته المشرقة كالشعلة الوضاءة كالبرق والبدر في عالم الملكوت.

كشافا الحياة والوجود:

إنما تُشاهد الموجودات بالضياء، ويُعرف وجود الموجودات بالحياة، فكل منهما كشّاف.

الاجتهاد غير الملزم:

كل مَن يملك استعداداً للاجتهاد يستطيع أن يجتهد لنفسه إلّا أنه لا يستطيع أن يشرّع.

العلماء ميزان ضابط:

إن الدعوة إلى أي فكـر كان منوطةٌ بقبول جمهور العلمـاء لها وإلّا فهي بدعة مردودة.

نور الفكر وضياء القلب:

إن نور الفكر ظلام يفجر ظلماً مالم يتوهج بضياء القلب ويمتزج به. فكمـا إذا لم يمتزج نهار العين الأبيض غير المنور بليلها الأسود فلا تكون بصراً، كذلك لا بصيرة لفكرة بيضاء لا توجد فيها سويداء القلب.

من وسائل الإضلال:

إن تصوير الأباطيل تصويراً جيداً إضلالٌ للأذهان الصافية.

بين الشاة والطير:

إن العالم المرشد ينبغي أن يكون كالشاة لا كالطير. فالشاة تُطعِم بَـهْمَتها اللبن والطير تلقم فراخها القيء.

سلبية الضعيف وتخريبه:

إن وجود شيء يتوقف على وجود جميع أجزائه، بينما عدمُه يتوقف على عدم جزءٍ منه، لذا يميل الشخص الضعيف إلى التخريب لإثبات قدرته، فيرتكب أعمالاً سلبية تخريبية بدل أفعال إيجابية تعميرية.

تبدل المصطلحات:

لقد وضع الظلمُ على رأسه قلنسوةَ العدالة ولبست الخيانةُ رداءَ الحمية وأُطلق على الجهاد اسم البغي وعلى الأسر اسم الحرية. وهكذا تبادلت الأضدادُ صُوَرَها.

وحش رهيب:

إن السياسة الدائرة على المنافع وحش رهيب.

قانون الوحوش:

إن التودد إلى وحش جائع لا يثير شفقته بل يثير شهيته فضلاً عن أنه يطالب بأجرة أنيابه وأظفاره.

الجنة وجهنم:

لقد أظهر الزمانُ أن الجنة ليست رخيصة وأن جهنم أيضاً ليست زائدة عن الحاجة.

تبدل الأخلاق:

قد صارت مزية الخواص من أهل الدنيا التي تستدعي التواضع والتراحم سبباً للتكبرّ والغرور، وصار عجز الفقراء وفقر العوام المستثيران للرحمة والإحسان سبباً لأسارتهم وسفالتهم.

بين الخواص والعوام:

إن كان في شيء ما محاسنُ وشرف فسرعان ما يُهدى إلى الخواص ويُنسَب إليهم. أما إن كان فيه سيئات فيلصقوها بالعوام وينسبوها إليهم.

سببا الخلل في حياة البشر:

لو تأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت: أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتان فقط:

إحداهما: إن شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع.

والثانية: اكتسب أنت لآكل أنا، واتعبْ أنت لأستريح أنا.

لا للربا:

إن عدالة القرآن تقف على باب العالم وتصيح في الربا: ممنوع، لا يحق لك الدخول! إن البشرية لما لم تصغ إلى هذا الكلام تلقت

صفعة قوية. وعليها أن تُصغي إليها قبل أن تتلقى صفعـة أقوى وأمرّ.

عاقبة بخلاف المقصود:

إن الذي يسلك إلى مقصد طريقاً غير مشروع، كثيراً ما يعاقَب بخلاف مقصوده، فإن جزاء محبةٍ غير مشروعة ـ كمحبة أوروبا ـ هي عداء غادر من المحبوب.

لا للعجز والجزع:

ينبغي عدم اللجوء إلى العجز فيما يمكن حلّه، وعدم الالتجاء إلى الجزع فيما لا يمكن علاجه.

فضل الصدق والحقيقة:

إن حبة واحدة من صدقٍ تبيد بيدراً من الأكاذيب، وإن حقيقة واحدة أفضل من بيدر من الخيالات.

اصدق ولكن!

عليـك أن تصدُق في كـل ما تتكلمـه ولكـن ليس صوابـاً أن تقـول كل صدق؛ إذ لا يلزم من لزومِ صدق كل قـولٍ ، قـولُ كل صدقٍ.

ثمرات الرؤية والفكر:

مَنْ أحسن رؤيته حَسُنتْ رويّته وجمل فكره ومن جمل فكره تمتع بالحياة والتذ بها.

الأمل واليأس:

إن الأمل يبعث الحياة في الناس، واليأس يقتلهم.

ظلم الإسلام:

إن إسناد محاسن المدنية إلى النصرانية التي لا فضل لها فيها، وإظهار التدني والتقهقر قريناً بالإسلام الذي هو عدوّ له، دليل على دوران المقدرات بخلاف دورتها، وعلى قلب الأوضاع.

بين الزجاج والألماس:

إن قطعة ألماسٍ نادرة مهما كانت صدئةً، أفضل من قطعة زجاج لامعة دوماً.

عمى البصيرة:

إن الذين يبحثون عن كل شيء في المادة، عقولهم في عيونهم، والعين لا تبصر المعنويات.

باب الخرافة:

إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل، ينقلب إلى حقائق مادية، ويفتح الباب إلى الخرافات.

زيف الشهرة:

إن الشهرة تُمَلّك الإنسانَ ما ليس له.

منزلة الدين:

إن إحياءَ الدين، إحياءٌ للأمة، وحياة الدين نور الحياة.

سبب المصائب العامة:

إن المصائب العامة إنما تنزل لأخطاء الأكثرية، فالمصيبة نتيجةُ جنايةٍ ومقدمةُ مكافأة.

حياة الشهيد:

إن الشهيد يعدّ نفسه حياً، ولكونه لم يذق سكرة الموت، يرى الحياة التي ضحّى بها باقيةً وغير منقطعة. إلّا أنها على أفضل وجه وأنزهه.

العدالة القرآنية والأطماع الذاتية:

العدالة القرآنية المحضة، لا تهدر دم بريء ولا تزهق حياته حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء. فكما أن كليهما في نظر القدرة سواء،

فهما في نظر العدالة سواء أيضاً. ولكن الذي تمكّن فيه الحرصُ والأنانية يصبح إنساناً يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق حرصه حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع.

بين الوهم والحقيقة:

لا تُضحّى مصلحةٌ محقّقة في سبيل مضرّة موهومة.

أثر الإيحاء:

ليس نادراً أن يتحسن مجنون إذا قيل له: أنت سليم أنت طيب، وليس من المستبعد أن يفسد عاقل إذا قيل له: أنت فاسد أنت طالح!

الداء والدواء:

قد يكون دواء مرض سماً لداءٍ آخر. وإذا جاوز الدواء حدَّه انقلب إلى ضده.

مع الجماعة:

يجب اتباع السواد الأعظم (من الناس). إذ لما اعتمد الأمويون على الأكثرية والسواد الأعظم، فإنهم دخلوا ـ مع تهاونهم ـ في نهاية الأمر في عداد أهل السنة والجماعة. بينما العلوية، فلاعتمادها على قلة العدد انتهى الأمر ببعض منهم ـ مع تصلبها ـ إلى الدخول في الرافضية.

بين الحق والأحق:

إن كان الاتفاق في الحق اختلافاً في الأحق، يكون الحق أحياناً أحق من الأحـق، والحسن أحسن من الأحسن. ويحق لكل امرئٍ ان يقول في مذهبه: «هو حق، هو حسن»، ولكن لا يحق له القول: «هو الحق هو الحسن».

القرآن والزمان:

كلما شابَ الزمانُ شبَّ القرآنُ، وتوضحت رموزه.

فضل الخفاء:

ما دام الولي في الناس، وساعة الإجابة في الجمعة، وليلة القدر في رمضان، واسم الله الأعظم في الأسماء الحسنى، والأجَل في العمر.. مجهولاً، ستظل لسائر الأفراد قيمتها وأهميتها؛ فإن عشرين سنة من عمر مبهم أفضل من ألف سنة من عمر معلوم النهاية.

دليـل:

إن عاقبة المعصية في الدنيا، دليل على العقاب الأخروي.

عمال تنظيف:

إن رزق أكلة اللحوم الوحشية الحلال هو جيف الحيوانات التي لا حدّ لها، وهي إذ تتناول رزقها تنظف وجه البسيطة أيضاً.

أسفه أنواع الإسراف:

لقمةٌ بفلسٍ واحد وأخرى بعشرة فلوس ـ مثلاً ـ كلتاهما متساوية قبل دخولهما الفم، وبعد مرورهما من الحلقوم؛ مع فارق واحد هو تلذذ الفم بها لعدة ثوانٍ، لذا فإن صرف عشرة فلوس بدلاً من فلس واحد إرضاءً لحاسة الذوق الموظفة بالتفتيش والحراسة أسفه أنواع الإسراف.

لا ترفه مع الفقر:

لم يكن اكثر المسلمين في السابق جائعين، فكان الترفّه جائز الاختيار، أما الآن فهم جائعون فلا اختيار في التلذذ.

الألم المؤقت واللذة المؤقتة:

ينبغي التبسم في وجه الألم المؤقت والترحيب به أكثر من التبسم للّذة المؤقتة، إذ اللذات الماضية تُنطِق المرء بالحسرات وما هي إلّا ترجمان لألمٍ مستتر بينما الآلام الماضية تُنطِق المرء: بالحمد لله الذي يخبر عن لذةٍ ونعمةٍ مضمرة.

نعمة النسيان:

إن النسيان (...) نعمة، لأنهُ يذيق الآلام اليومية وحدها، بينما يُنسي المتراكمة منها.

نعمة في المصيبة:

إن لكل مصيبة درجة نعمة كدرجات الحرارة ـ التي تتداخلها البرودة ـ لذا ينبغي الشكر لله بالتفكير فيما هو أعظم، ورؤية النعمة في الأصغر. وإلّا إذا نُفخ فيها واستُعظِمتْ فإنها تعظُم، وإذا أُقلق من أجلها تتوأمت وانقلب مثالُها الوهمي في القلب إلى حقيقة تسحق القلب.

بين التكبر والتواضع:

لكل شخص نافذة يطل منها على المجتمع ـ للرؤية والإراءة ـ تسمى مرتبة، فإذا كانت تلك النافذة أرفعَ من قامة قيمته يتطاول بالتكبر، أما إذا كانت أخفضَ من قامة قيمته، يتواضع بالتحدّب وينخفض حتى يشهد في ذلك المستوى ويُشاهد. إن مقياس العظمة في الإنسان هو التواضع، أما مقياس الصغر فيه فهو التكبر والتعاظم.

التذلل والتكبر:

إن عزة النفس التي يشعر بها الضعيف تجاه القوي لو كانت في القوي لكانت تكبراً، وكذا التواضع الذي يشعر به القوي تجاه الضعيف، لو كان في الضعيف لكان تذللاً.

بين السماحة والخيانة:

إن كان الفرد متكلماً عن نفسه فصَفحُه وسماحه عن المسيئين، وتضحيته بما يملك، عمل صالح، أما إذا كان متكلماً باسم الجماعة فخيانة وعمل غير صالح.

طاعة ومعصية:

كما أن هناك طاعة وعصياناً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعةٌ وعصيانٌ تجاه الأوامر التكوينية. وغالباً ما يرى الأول ـ مطيع الشريعة والعاصي لها ـ جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني ـ مطيع السنن الكونية والعاصي لها ـ غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا.

فكما أن ثواب الصبر النصرُ، وجزاء البطالة والتقاعس الذلُّ والتسفّل. كذلك ثواب السعي الغنى وثواب الثبات التغلب.

العدالة الحقيقية:

إن العدالة التي لا مساواة فيها ليست عدالة.

أصول وثمرات:

إن التماثل مدعاة للتضاد، والتناسب أساس للتساند، وصغر النفس منبع التكبر، والضعف معدن الغرور، والعجز منشأ المخالفة، والشغف استاذ العلم.

الحاجة أستاذ الحضارة:

إن القدرة الفاطرة قد ألجمت جميع الأحياء وفي مقدمتها الإنسان بدافع الحاجة، ولا سيما حاجة الجوع، وأقحمتها في نظام، فأنقذت العالم من الهرج والمرج وحققت الرقي للإنسان بجعل الحاجة أستاذاً للحضارة.

أسباب ونتائج:

إن الضيق معلم للسفاهة، واليأس منبع ضلال الفكر، وظلمة القلب منبع ضيق الروح.

تكشف النساء:

كلما دخلت امرأة حسناء في مجلس من مجالس الإخوان تنبّه عرق الرياء والحسد والمنافسة. ففي تكشّف النساء تكشفٌ عن الأخلاق السيئة في الإنسان المتحضر.

ضوابط للاجتهاد:

إن ميل التوسع والاجتهاد هو ميل للتكمل إن كان من الداخلين بحقٍ في دائرة الإسلام بامتثال مسلّماته جميعاً، بينما يصبح ـ هذا الميل ـ ميلاً للتخريب إن كان ممن يهمل الضروريات ويعدّ خارجاً عن الدائرة لعدم مبالاته. فأثناء العواصف المدمرة تقتضي المصلحة سدّ نوافذ الاجتهاد فضلاً عن فتح أبوابه.

شريعتان:

الشريعة اثنتان:

إحداها: هي الشريعة المعروفة لنا، التي تنظم أفعال وأحوال الإنسان، ذلك العالم الأصغر، والتي تأتي من صفة الكلام.

الثانية: هي الشريعة الكبرى الفطرية، التي تنظم حركات وسكنات العالم، ذلك الإنسان الأكبر، والتي تأتي من صفة الإرادة. وقد يطلق عليها خطأ اسم الطبيعة.

الملائكة والأوامر التكوينية:

الملائكة أمة عظيمة هم حملة الأوامر التكوينية وممثلوها وممتثلوها تلك الأوامر الآتية من صفة الإرادة والتي تسمى بالشريعة الفطرية.

موازنة:

إذا وازنتَ بين حواس حوينةٍ «مجهرية» وحواس الإنسان، ترى سراً عجيباً: أن الإنسان كصورة يس كتب فيها سورة يس.

أشد الناس شقاء:

إن أشد الناس شقاءً واضطراباً وضيقاً هو العاطل عن العمل؛ لأن العطل هو ابن أخي العدم، أما السعي فهو حياة الوجود ويقظة الحياة.

ضرر البنوك الربوية:

إن البنوك التي هي وسائط الربا وأبوابها، إنما تعود بالنفع على الكفار ـ الذين هم أسوأ البشر ـ وعلى أظلمهم، وعلى أسفه هؤلاء. إن ضررها على العالم الإسلامي ضرر محض.

خطبة الجمعة بالعربية:

إن الهدف من خطبة الجمعة تذكير بالضروريات الدينية ومسلّماتها لا تعليم النظريات، والعبارة العربية تذكّرها على أفضل وجه وأسماه.

بين الآية والحديث:

إذا قورن بين الآية والحديث، يتضح أنه حتى أبلغ البشر لا يستطيع أن يبلغ بلاغة الآية، وأن هذا لا يشبه تلك.

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥-٩
المكتوب الأول	١٠-١٢
المكتوب الثاني	١٣
المكتوب الثالث	١٤-١٥
المكتوب الخامس	١٦-١٧
المكتوب السادس	١٨
المكتوب السابع	١٩
المكتوب الثامن	٢٠
المكتوب التاسع	٢١-٢٢
المكتوب العاشر	٢٣-٢٥
المكتوب الحادي عشر	٢٦
المكتوب الثاني عشر	٢٧-٢٨
المكتوب الثالث عشر	٢٩

الموضوع	الصفحة

المكتوب الخامس عشر ٣٠-٣٢
المكتوب السادس عشر..... ٣٣-٣٤
المكتوب السابع عشر ٣٥
المكتوب الثامن عشر..... ٣٦-٣٧
المكتوب التاسع عشر ٣٨-٥٠
المكتوب العشرون ٥١-٧٠
المكتوب الحادي والعشرون ٧١-٧٣
المكتوب الثاني والعشرون ٧٤-٨٤
المكتوب الثالث والعشرون..... ٨٥-٨٧
المكتوب الرابع والعشرون ٨٨-٩٨
المكتوب السادس والعشرون..... ٩٩-١٠٩
المكتوب الثامن والعشرون ١١٠-١٢٠
المكتوب التاسع والعشرون..... ١٢١-١٤٦
نوى الحقائق..... ١٤٧-١٦٣
فهرس المحتويات..... ١٦٥-١٦٦